علم الإنسان

في القرآن الكريم

بقلم

أ/ علي القاضي

دار الهداية

للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

عِلْم الإنسان

تعبير حديث يقصد به العلم الذي يربط بين علم النفس الذي عني بالفرد وحده ، وعلم الاجتماع الذي عني بالمجتمع وحده ، فهو يمزج بينهما في إطار جديد للدراسة ، يؤكد التفاعل بين شخصية الفرد ، والبناء الاجتماعي ، باعتبارهما عنصرين أساسيين لتحديد إطار المرجع الذي يتم فيه السلوك ، ويتم التفاعل فيه بين الأفراد.

وهو العلم الذي يعنى بدراسة الإنسان فرداً له خصائصه البيولوجية ، والعقلية ، والعاطفية ، والنفسية ، كما يعنى بدراسة الإنسان عضواً في مجتمع يؤثر فيه ويتأثر به ، وعن طريقه يقوم البناء الاجتماعي على أكتاف مجموعات أفراد المجتمع ، التي تتداخل وتتفاعل في تشكيل وتحديد أنماط السلوك ، وتنظيم الحاجات الإنسانية حسب أنماط القيم السائدة في المجتمع ، كما يعني بدراسة أنماط الثقافة في الأجزاء المختلفة من العالم.

والإنسان مخلوق فريد ، يملك القدرة على الكلام ، والقدرة على استخدام الرموز والمجردات ، والقدرة على التعميم ، وهو لذلك يقدر على الاتصال بغيره ، ونقل مهاراته ، ومنتجاته ، وعقائده ، وقيمه ، وثقافته التي هي مجموع السلوك البشري ، كما أنه يعني بدراسة أنماط الثقافة في الأجزاء المختلفة من العالم ، مثل الجماعات البدائية ...

وبعض علماء علم الإنسان يذهبون ليعيشوا في الجماعة ويدرسوا نمط ثقافتها ، وبعضهم يقوم بدراسة مقارنة بين الثقافات والمجتمعات ؛ يدرسون نموها وتغيرها وأسباب ذلك.

ويلاحظ أن الإنسان مكون من جسم ، وعقل ، وروح ، ووظيفة علم الإنسان أن يدرس الإنسان من جميع نواحيه ، فيدرس البناء الجسماني للإنسان معتمداً على المشاهدة والمقاييس ، ويدرس تطور الجسم ، ويدرس العقل وتطوره ، لأن الجسم والعقل يكونان قطاعاً واحداً خاضعاً لظروف الزمان والمكان ، وهذا يعرض الجسم والعقل للتغيير ، ومن وظائف علم الإنسان تتبع هذا التغيير ، والتركيز على دراسة عقل الإنسان بالاعتماد على مشاهدة نتاج هذا العقل.

والإنســـان لا يعيش إلا في جماعة سواء أكان داخل مسكنه أم خارجه ، ولذلك كان من الضـــروري أن يتـــبادل الآراء أولاً مع أفراد الجماعة ، كما يتبادل معهم المعونة للحصول على مطالبه الأساسية في الغذاء ، والكساء ، والمسكن ، والأمن.

وهـــذه المطالب هي التي تربط الإنسان ببيئته وجماعته ، وكلما كان الإنسان بدائياً ، كلما كانـــت تصـــرفاته صدى صادقاً للبيئة الطبيعية ، وكلما ارتقى الإنسان كلما تحرر من سلطان البيئة عليه وأخضع بعض ما فيها لسلطان عقله.

علماء الغرب وعلم الإنسان:

يلاحـــظ أن أكثر علماء الغرب لا يهتمون إلا بدراسة جانب واحد من جوانب الإنسان ، وهذا له آثاره السلبية ، ومن هؤلاء :

فـــرويد : عـــالم علم النفس الذي توصل إلى أن البحث عن السعادة والحصول عليها وتخفيف الآلام هـــو سبب السلوك الإنساني ، وأن السعادة تكون في إشباع الغرائز ، وأن مبدأ اللذة هو المـــبدأ المســـيطر على عمليات الجهاز النفسي منذ الولادة ، والليبدو من اكتشافات فرويد وهو يدل على الطاقة النفسية المستمدة من الغرائز البيولوجية الأولى.

ومكونات التنظيم النفسي عند فرويد هي:

١- **الهـــوّ**: وهـــو مصدر كل الطاقات الغريزية الضرورية لاستمرار بقاء الفرد ، ولا يعرف إلا مـــبدأ اللذة الجنسية الذي يميل إلى تحقيقه ، ولا يعرف القانون ولا القيم الأخلاقية ولا التردد ، وهو يمثل العالم الداخلي للتجربة الذاتية ، ولا يعرف شيئاً عن الحقيقة الموضوعية.

٢- **الأنـــا**: المركـــب الأساسي لشخصية الفرد ، وهو أنشط من الهو ، وهو خاضع لقوانين الـــزمان والمكـــان ، وقوانـــين الفكر الأساسية ، ووسيلة لتعلم الفرد كيفية مواجهة العالم الخارجي ، وهو يوجد الانسجام الداخلي للشخصية .

٣- **الأنـــا الأعـــلى**: وهو يقوم بتنسيق ينبثق عن موضوع الانفعال الأول ، ويرتبط بالمنجزات الحضارية للبشرية ، والعلاقة بينهما علاقات آلية وليست علاقات تفاعل.

ويـــرى فـــرويد أن الســـنوات الخمســـة الأولى من حياة الطفل هي السنوات الحاسمة في التكوين النهائي للشخصية و لم يلاحظ تأثير العامل الاجتماعي.

إريـــك فروم: تلميذ فرويد يرى أن الإنسان مخلوق اجتماعي لا تحكم سلوكه الغرائز الجنسية ، وأن المـــرض النفسي هو محصلة لظروف الفرد ، وتجارب الطفولة في مجتمع الأسرة ، والتجارب المتأخرة في الجماعة .

وعناصر تكوين الشخصية عند فروم تكون في:

١- **الانتماء للجماعة**: ودوام الإنتاج والتوافق مع البيئة والتعاون مع الآخرين.

٢- **الضـــمير**: وهو يدفع الإنسان إلى أداء سلوك معين حسب الرغبات والأغراض التي يؤمن بها ، وهو يتكون من خلال التأثيرات الاجتماعية والثقافية.

٣- **السمات**: وهي العناصر الاجتماعية في تكوين الشخصية.

علم الاجتماع :

يـــرى "دوركـــايم" عـــالم عـــلم الاجتماع المعروف أن المجتمع يشكل سلوك الأعضاء ، وحســـب الظواهر الاجتماعية بما له من قوة القهر والإلزام على تحوير السلوك وقهر الرغبات ، وهـــو صـــانع الـــتفكير ، فالتفكير تعبير عن العقل الجمعي ، وانعكاس للحياة الاجتماعية التي يرتبط بها الفرد ، والعامل الذاتي شرط للعامل الاجتماعي.

وقـــد لاحظ "دوركايم" أن الدراسات النفسية لم تهتم بتأكيد الهيئة الاجتماعية والثقافية ، وتأثيرهـــا على الأنماط السلوكية والعمليات العقلية ، وأن الدراسات الاجتماعية تدرس الظواهر الاجتماعية فقط ، وقد أكد قوة القهر والإلزام للظواهر الاجتماعية على الفرد .

وعلماء علم الاجتماع يرون أن طبيعة الإنسان الاجتماعية لا تنسلخ عنه ولا ينسلخ عنها، ويـــرون أن الظاهـــرة الاجتماعية متغيرة من الجماعة وتفرض نفسها على الفرد ، أي أن الفرد علـــيه أن يوافـــق أعراف الجماعة موافقة إلزامية ولا يخالفها حتى لا يتعرض لقهر ما ، فالإنسان

في نظر علماء الاجتماع يوصف بالمتغيرات الاجتماعية ، لذلك أعلنوا رفضهم لكون الدين وحياً إلهياً ، كما رفضوا أن ينطوي على قيم ثابتة ، حتى أن " أوجست كونت " قال: (إن الفكرة الدينية تصور مرحلة من مراحل التطور العقلي للإنسانية).

ورأى علماء الاجتماع – وفقاً لظروف قاسية مر بها المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى – سبب هذه النكسة ، وهو نقل إلهية الدين إلى بشريته ، أي أنه من وضع الجماعة البشرية ، ووجد علماء الاجتماع وبخاصة في الأحداث التي ألغت دور الكنيسة الدليل على ضرب المثل القائل بعبادة الدين للمجتمع.

وقد خلص علماء الاجتماع من دراستهم للأديان – عدا الإسلام – في العصر الحديث إلى أنها مزيج من فلسفة مشوهة واجتهادات كهنوتية في مجموعها تخدم أغراض الكهنة وأطماعهم الدنيوية ، ولما كان دينهم هو هذا المزيج الذي يخالف دين التوراة والإنجيل الحقيقي ، ثار عليهم القديس الألماني "مارتن لوثر" ، فالثورة على الدين في أوروبا أشعلها رجال الدين أنفسهم ، وأوروبا لم تكن على علم كامل بنظام الإسلام ولا بموقفه من الأديان السابقة.

مجال علم الإنسان:

ثم جاء "بارسونز" الذي رأى أنه لابد من الربط بين علم النفس وعلم الاجتماع ، ومزجهما من جديد للدراسة يؤكد التفاعل بين البناء الاجتماعي وبين الشخصية الفردية باعتبارهما عنصرين أساسيين لتحديد إطار المرجع الذي يتم فيه السلوك ويتفاعل فيه الأفراد.

وقد أكد "بارسونز" على أهمية الحب والطمأنينة لاكتساب العناصر الاجتماعية وإدماجها في الشخصية ، واعتبر الحب والطمأنينة شرطين لتوحيد الشخص مع المجتمع ، ولنمو الشخصية نفسيا واجتماعيا ، وأكد أهمية التفاعل في تكوين الشخصية ونموها ، كما أكد على الربط بين البناء الاجتماعي وبين الشخصية ، وبين أن نمو الشخصية عملية نمو للسلوك الاجتماعي وتوقعات الأدوار المكونة لبناء الشخصية ، كما بين أن نمو الشخصية عملية نمو اجتماعي

نفسي بيولوجي ، وخصص أشكالاً معينة للسلوك ترتبط بتنظيمات بنائية معينة في كل طور من أطوار النمو ، وأكد على أهمية الحب والطمأنينة باعتبارهما شرطين لتحقيق النمو النفسي والاجتماعي ، وتوحيد الشخص مع المجتمع ، وأكد على أهمية استقرار البناء الاجتماعي في أثناء التفاعل في كل المواقف لتكوين الشخصية ، وبين أن تباين التكوينات الداخلية للشخص يحد من تأثير المجتمع الكامل على الشخصية.

نظرية الشخصية:

تهتم هذه النظرية بالعمليات التي تحقق توازن علاقات الفرد مع البيئة والموقف ، وتهتم بنسق العلاقات والسلوك الاجتماعي وبناء الإنسان الاجتماعي، ولا يفهم ذلك كله بدون الثقافة ، وهي عناصر رمزية تتداخل في تنظيم البناء الاجتماعي وتكوين بناء الشخصية.

والشخصية : نسق واقعي يكتسب نتيجة التفاعل بين الحاجات الفطرية الوراثية وبين التجارب الاجتماعية ، والبناء الاجتماعي هو نسق من توقعات منظمة لسلوك الأفراد الذين يشغلون مراكز خاصة في النسق.

نسق الأدوار :

يقول "ألكسيس كاريل" في كتابه " الإنسان ذلك المجهول" : (إننا لا نفهم الإنسان ككل ، إننا نعرفه على أنه أجزاء مختلفة ، وحتى هذه الأجزاء ابتدعتها وسائلنا ، فكل واحد منا مكون من الأشباح يسير وسط حقيقة مجهولة ، وينتهي الأمر إلى تدمير الإنسان بسبب جهلنا المطلق بحقيقته) ، نعم لقد استطاع الإنسان في العصر الحديث أن يستخدم – على نطاق واسع – ما اكتشف في المجتمعات البشرية ، ولكن تربيته لم تكن متكاملة ، و لم يكن له رصيد روحي يوجه هذه الطاقات وتلك الاكتشافات إلى الخير ، ففتن بما وصل إليه وطغى وتجبر ، ونتيجة لذلك كله أصبحت البشرية كلها تعيش في مشكلات لا نهاية لها ، فشقي الإنسان بدل أن يسعد ، وأصبح العقل نقمة على البشرية كلها.

علاقة الإنسان بالإنسان:

علاقة الإنسان بالإنسان في الحضارة الغربية هي علاقة بين فكرتين مجردتين ، تحاول كل منهما أن تستخدم الأخرى أو تستغلها.

وهناك قدر كبير من الريبة وانعدام الثقة ، بل إن الحب والعلاقة بين الجنسين تنبني على السطحية ولا تمتد جذورها إلى القلوب فهي علاقة المتعة المتبادلة ، وقد انتهى هذا الفصل إلى فقدان الروابط الاجتماعية العامة التي تميزت بها القرون الوسطى .

إن المجتمعات الغربية الحديثة تتألف من أفراد كل منهم غريب عن الآخر ، وتربطهم معا مصالح ذاتية وضرورات نفعية ، والإنسان في حاجة إلى المشاركة والمعاونة التي لا تستند إلى محض المنفعة ، وبحاجة إلى الإحساس بأنه فرد في جماعة متشابكة أساسها الحب الخالص والتعاطف والمودة ، فنحن في علاقاتنا الخاصة أنانيون .

الانفصال داخل الإنسان:

مؤلف كتاب (المجتمع السليم) يصف علاقة الإنسان بالإنسان بالسوقية أو التجارة ، والإنسان يجيب الآن بقوله: أنا كاتب- أنا طبيب- أنا مهندس — فهو يحيا بتلك الصفة المجردة منفصلاً عن طبيعته الحقيقية التي يؤدي بها عملاً بعينه في النظام الاجتماعي ، فإن فشل المرء في الإسهام بنفسه إسهاماً مريحاً أحس بأنه إنسان فاشل ، وإن أفلح في إسهامه بنفسه أحس بأنه إنسان ناجح ، وإحساسه بقيمته يتوقف دائماً على عوامل خارجية عن نفسه ، يتوقف على حكم السوق المذبذب الذي لا يثبت على حال.

إن الإنسان الذي يفصل بين طبيعته وعمله يعيش غريباً عن نفسه ، ويفقد كثيراً من الإحساس بالكرامة التي يتميز بها الإنسان حتى في الثقافات البدائية ، إنه يكاد يفقد كل إحساسه بذاته ، ولا يمكن للإنسان أن يحقق ذاته إلا إذا بقي متصلاً بحقائق وجوده الأساسية وبجمال الحب وجلال التماسك ، لأنه إذا انغمس بكليته في العمل الرتيب و لم يستطع أن يرى سوى المظهر الخارجي للعالم الذي صنعه الإنسان ، إذا فعل ذلك فإنه يفقد صلته بنفسه

وبالعالم ، وإدراكه لكل ذلك إدراكاً صحيحاً ، ومن ثم ينشأ في كل ثقافة صراع من العمل الرتيب ، ومحاولة العودة إلى حقائقه الأساسية ، ومن وظائف الدين أن يعين الإنسان على كل شيء ، وإن كان الدين أمسى عند كثير من الناس صورة جديدة من العمل الرتيب.

إن الملل الذي ينجم بين المرء وعمله ، بل وبينه وبين نفسه ، ما هو إلا عامل من العوامل التي أدت إلى ضيق المرء بنفسه في العصر الحديث ، مما يؤدي به إلى الهروب من المجتمعات عن طريق المخدرات ، ومن الحياة عن طريق الانتحار ، وبذلك يتخلص من أعباء الحياة التي أصبح لا يستطيع تحملها.

بداية الإنسان:

يلاحظ أن الوقت الذي أشار فيه القرآن الكريم إلى مراحل تطور الجنين ، لم يكن أحد في أوروبا يعرف شيئاً عن هذه المراحل ، واستمر الوضع على ذلك حتى القرن العشرين ، وقد أشار الدكتور "مور" في البحث الذي قدمه إلى مؤتمر إعجاز القرآن الكريم الذي عقد في باكستان سنة ١٩٨٥م إلى الآية الكريمة :

﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ (الزمر:٦)

قائلا: (إنه من المعقول اعتبار الظلمات الثلاث هي جدار بطن الأم وجدار الرحم والغشاء الذي يحيط بالجنين) ، وأضاف (إن هناك بعض الآيات القرآنية الأخرى التي تعطي أسماء معينة للمراحل التي يمر بها الجنين في نموه في الطور الأول للنطفة ، يشير إلى مرحلة إخصاب البويضة الأنثوية بالحيوان المنوي للذكر ، ويلي ذلك مرحلتان يتطور خلالها شكل الجنين ، وهي التي يسميها القرآن الكريم (العَلَقَة والمُضْغَة) ، ويلي ذلك مركز مرحلة التشكل حتى ينمو العظام ، ثم يكسى باللحم ، والمرحلة الأخيرة هي مرحلة النشأة ، وعندها يأخذ الجنين في النمو السريع.

ومن الجدير بالذكر: أن "مور" اقترح استخدام الألفاظ القرآنية في وصف مراحل الجنين.

ويرى الدكتور "مارشال جونسون" الأستاذ بجامعة "جيفرسون" الطبية في الولايات المتحدة في بحثه الذي قدمه للمؤتمر: (إن الألفاظ القرآنية لوصف نمو الجنين هي أدق وأوفى

المصطلحات التي تنسجم مع النمو في الرحم ، وهي حسب تعبيره ، مصطلحات مثالية للاستخدام في علم الأجنة التي يعاني منها الباحثون الغربيون فيه من مشكلة عدم توافر المصطلحات ، الأمر الذي جعلهم يصفون مراحل نمو الجنين بالأرحام ، وقال الدكتور "مارشال جونسون" أيضا: (إن القرآن يسمى المكان الذي تستقر فيه النطفة في الرحم بالقرار، أي مكان الاستقرار) ، والأستاذ "ج- س- جوربيجر" ألقى في المؤتمر بحثاً أشار فيه إلى أن علم الأجنة لم يتطور إلا في الأربعينات من القرن العشرين الميلادي ، وعلى الرغم من ذلك فإن القرآن والسنة قد شجعا العلم الحديث إلى الإشارة إلى أهمية الاكتشافات العلمية في مجال العلم ، وقد ذكر القرآن كيف يتطور الجنين في داخل الرحم من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام.

والإنسان في علم الإنسان القرآني مخلوق متميز ، خلقه الله سبحانه وتعالى من تراب ، ونفخ فيه من روحه ، وطلب من الملائكة أن يسجدوا له ، فسجدوا إلا إبليس الذي أبى واستكبر وكان من الكافرين ، فطرده الله تعالى من رحمته ، ونبه آدم إلى عداوة إبليس له لأنه طرده من رحمته ، قال سبحانه وتعالى : **﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) ﴾** (الحجر: ٢٨-٤٠).

علم الإنسان في القرآن الكريم:

هـــذا العلم يظهر في إطار أيدلوجي متكامل ، والأخلاق الإسلامية أخلاق إنسانية في أسمى صـــورها تمـــتد في أفـــق الكون كله ، ومن ثم فإن النفس تسمو على الصغائر ، ومن هنا ينبع الســـلوك الذي يجعل النفس مرتبطة بخالقها ، وعندما تسمو العقيدة بالإنسان فإنما تسمو به كله بمخـــتلف مواهبه وإمكاناته ، ومن تكريم الله تعالى للإنسان أنه ربطه به ربطاً محكما من خلال رســـله ورســـالاتهم ، وطلب منه أن يفكر ويتأمل ويسير في الأرض لينظر كيف تكون عاقبة المكذبين.

والإسلام جاء بنظام كامل متكامل قائم بذاته ، شمل جسم الإنسان وعقله ونفسه ، ونظر إلى الفرد وإلى المجتمع نظرة متكاملة ، وعني بالحياة الدنيا وما بعدها.

وفي الإسلام توجد الفردية وتوجد الجماعية بصورة مثالية:

الفـــردية موجـــودة حيث يجب أن تكون الفردية وحيث تتفق مع الطبيعة ومع الإنسان ، والجماعية موجودة حيث يجب أن تكون الجماعية وحيث تتفق مع الطبيعة ومع الإنسان.

ويلاحـــظ أن الدين هو أكثر العوامل تأثيراً في حياة الأفراد والجماعات ، ومن خلال البث الجمـــاعي يســـهل تربية الأمة الواحدة بمعتقداتها وآرائها ، ويسهل صب المجتمع في قالب واحد هـــو القالـــب الديني بالدرجة الأولى ، والدين وتربية الأسرة على أساسه كان السبب في تربية أبناء اليهود على المثل اليهودية.

والإنســـان في الإســـلام هـــو مركز حركة الكون ، خلقه الله تعالى لتحقيق أسمى ألوان التحضـــر ، والإســـلام يقوم بحصر شامل لكل جوانب الفطرة الإنسانية ، وإعطاء كل جانب مـــنها حقـــه مـــن الحضارة وفق خط مستقيم يتسق بين كل جوانب الحياة ويجعلها منسجمة متناسقة ، والله سبحانه وتعالى ينظم هذه الفطرة باعتباره خالقها وهو أدرى بما يصلحها:
﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٤).

والإســـلام جاء لوصل الإنسان بخالقه ، بحيث يكون الخالق هو السلطة الوحيدة التي يتلقى الإنســـان منها موازينه وقيمه ، والتي يرجع إليها بروابطه ووشائجه كما قال صاحب معالم في

الطريق.

وهناك وشيجة واحدة تربط الناس بعضهم ببعض تظهر في قوله تعالى: ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (المجادلة:٢٢).

وهناك طريق واحد إلى الله يظهر في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام:١٥٣).

وهناك نظام واحد هو الإسلام ، وقد نعى القرآن الكريم من لا يريدون حكم الله فقال: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة: ٥٠).

وهناك شريعة واحدة هي شريعة الله تعالى ، يقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الجاثية:١٨).

ولذلك فإن قوة الإسلام تكمن في اكتمال شخصية المسلم ، التي يستطيع الإسلام أن يوحدها متى كان في خير أحواله ، والمسلم لذلك يتصف بالطمأنينة والكرامة والاتزان ، وهي صفات لم تكن لتتطور وتنمو إلا في إطار ثابت للعالم المثالي ، والحضارة الإسلامية تتخير غذاءها تخيرا دقيقاً طبقاً لتعاليم الإسلام ، وهي تتقبل كل إسهام من شأنه أن يساعدها على الاحتفاظ بهويتها مهما تغيرت الظروف.

العبادة في الإسلام:

العبادة في الإسلام تتناول كل جوانب حياة الإنسان العلمية والعملية ، والتي توصله إلى أداء وظيفته في هذه الحياة باعتباره خليفة في الأرض ، ونتيجة لهذه النظرية الإنسانية الإسلامية فإن المسلمين خلال قرن من الهجرة أصبحوا أئمة العالم ، وأصبحت "بغداد" عاصمة العالم الحضارية بدلا من "اصطخر" الفارسية و"روما" الرومانية وغيرهما.

وهكذا نرى أن الحاكمية في الإسلام لله وحده ، والناس مستخلفون في عمارة الأرض وإقامة الشريعة ، وفي ذلك تكريم للإنسان لأنه ليس للحاكم عليه من سلطان إلا في حدود

الشريعة التي يخضع لها الحاكم والمحكوم معا ، فالإسلام لا يعرف نظام الحكم الاستبدادي الذي يقـــف أمـــام الفكر فيمنعه ذلك من البحث الحر لمعرفة الحقائق الجديدة ، أو يقف دون كشف جديد دون سعي العقل في عالم المجهول ، يقول "سان سيمون" في كتابه (علم الإنسان) :

(إن الـــدارس لبنـــيان الحضـــارات الإنسانية المختلفة لا يمكنه أن يتنكر للدور الحضاري الخلاق الذي لعبه العرب المسلمون في بناء النهضة العلمية لأوروبا الحديثة).

ويقول "أوجست كونت" رائد المدرسة الوصفية: (إن عبقرية الإسلام وقدرته الروحية لا يتناقضـــان البـــتة مع العقل ، كما هو الحال في الأديان الأخرى ، بل ولا يتناقضان مع الفلسفة الوضـــعية نفســـها ، لأن الإسلام يتمشى أساساً مع دافع كل إنسان بما له من عقيدة مبسطة ، ومن شعائر عملية مفيدة).

وتقـــول "مريم جميلة" – اليهودية التي أسلمت – في كتابها (الإسلام بين النظرية والتطبيق): (إن الهـــوة السحيقة التي تفصل النصرانية عن الإسلام هي في الأساس تقبل الدينونية ، ويقصد بهـــا الفلســـفة التي تزعم أن العقيدة الدينية تختص بأحكام لقطاعات جزئية في حياة الإنسان ، وتنحـــيها بـــالذات عن أي تأثير حاسم في المصالح العامة والدينونية التي تحصر الدين في قطاع الشـــئون الخاصـــة بالفردية المحضة هي أساس المدنية الغربية المعاصرة ، وهي أصل كل انحراف المبادئ النصرانية عن الإسلام).

صفات الإنسان:

وقـــد نَـــبَّه القـــرآن الكريم الإنسان إلى بعض صفاته ، حتى يستطيع أن يفهم نفسه وأن يصـــوغها صياغة جديدة تجعله قادراً على أداء دوره في هذه الحياة ، ومنها: ﴿ **وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً** ﴾ (الإسراء:١١) ، ومنها: ﴿ **وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً** ﴾ (الكهف:٥٤).

يقـــول "ألكسيس كاريل" في كتابه الإنسان ذلك المجهول): (إن أهم مشكلات الحياة أننا لا نفهـــم الإنســـان ككل ، وأننا نعرفه على أنه يتكون من أجزاء مختلفة ، وحتى هذه الأجزاء ابتدعـــتها وســـائلنا ، فكل واحد منا يتكون من كوكب من الأشباح تسير في وسطها حقيقة مجهولة ، وينتهي الأمر إلى تدمير الإنسان بسبب جهلنا المطلق بحقيقة الإنسان.

ولكـــن المؤمـــن يحـــس إحساساً عميقاً بعبوديته لله ، وهو مطمئن في الدنيا إلى قضاء الله وقـــدره ، ويقيم مودة بينه وبين الكون وبين الناس ، حتى ولو كانوا أعداء له ، وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة الفرقان: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا ﴾ الآية (٦٣) وإلى آخر السورة.

ومـــن عجائـــب إنسان الحضارة الغربية أنه سار خطوات واسعة في سيطرته على الكون بيـــنما هو عاجز عن السيطرة على نفسه ، ومن هنا فإن الحضارة الغربية لم تدخل على النفس ، ولا عـــلى مشـــاعر الـــناس وأحاسيسهم إلا القلق والحيرة ، ولم تسكب في قلوبهم إلا الأثرة والأنانـــية ، ولم تثر في تفكيرهم إلا دوافع العدوان والتسلط ، بينما الحضارة الإسلامية أعطت للمســـلم صـــدق التوكل على الله ، الذي يؤدي إلى توفير الجهد الانفعالي والعقلي المبذول في الاهـــتمامات والتعلـــيقات المتنوعة ، ثم توجيه هذه الجهود وتركيزها في عمارة الأرض ، كما أعطـــت الهمـــة الـــتي هي الباعث على الحركة الداخلية التي تؤدي إلى حركة خارجية وسلوك يتميز بالإقبال والحماسة.

ووظـــيفة الحضارة الإسلامية: أن تنشئ حياة إنسانية توافق تصوره وتمثله في صورة واقعية تـــتحقق في قوـــله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُـــنْكَرِ وَتُؤْمِـــنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١٩٠) ، وفي ذلك يقول ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس: (إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام).

وهكذا نلاحظ أن أول أهداف الحضارة الإسلامية وأهمها يكمن في الرقي الداخلي أولا ، أمـــا في الحضارة الغربية فإن اعتبارات الانتفاع المادي تسود جميع مظاهر النشاط الإنساني ، أما الأخـــلاق فوجودهـــا نظري وليس لها قوة في المجتمع ، وقد أبطلت الحضارة الإسلامية العصبية العرقـــية ، والحقد الجنسي ، وشقت الطريق إلى الإخاء الإنساني ، وإلى العدل والمساواة ، وإلى نشـــر المـــودة والمحبة في كل جوانب الحياة ، والبعد الأخلاقي هو جوهر الحضارة الإسلامية ،

فالأفراد والجماعات يجعلون إرادهم موجهة إلى الخير المادي والروحي ، وإلى الأفراد والجماعات.

الكون صديق للإنسان:

علم الإنسان في القرآن الكريم يرى أن الكون كله وطن للإنسان ، وصلة التوطين بينهما تقوم على أسس فطرية ، فليست الأرض وحدها وطن للإنسان ، بل إن الآفاق التي تحيط بها تضع الإطار الحق لمفهوم هذا الوطن ، وإذا كنا نعيش على الأرض بأيدينا ، فإننا نحيا في هذا الكون الكبير بحواسنا وعقولنا حياتنا الحافلة بأصدق المعاني ، ذلك لأن خالق الإنسان هو خالق الكون فهو لذلك يحس بأن الكون صديق له يتعاطف معه ، والله سبحانه وتعالى خلق الكون من أجل الإنسان ، يقول الله تعالى ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة:٢٩).

والأرض متعاونة على الحياة والرزق فيها متوفر ، وعلى الإنسان أن يسعى لتحصيل رزقه ، يقول الله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ (الملك:١٥) ، والسماء أيضا متعاونة على الحياة والرزق في تهيئة الحياة للإنسان يقول الله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ** ﴾ (النحل:٦٠) ، والكون فيه حياة وإن كنا لا ندركها ، يقول الله تعالى: ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾ (فصلت:١١) ، ويقول: ﴿ **وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ** ﴾ (الرحمن:٦) ، فالكون يسبح بحمد الله الذي خلقه كما يسبح الإنسان ، والله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان العقل والتفكير وحرية الاختيار ، والكون تحكمه قوانينه ، والمسلمون يحسون بأن الكون بيتهم الكبير الذي يعيشون فيه ، وما فيه من رزق هو حق لجميع بني الإنسان ، ومن هنا كان لابد من التعاون والمحبة بينهما لأن ذلك يجعل للحياة طعما وشكلاً غير ما لها في نفس من لا يؤمن بهذه الوحدة.

والكـــون مـــتعاطف مع الإنسان منذ القدم ، ونحن نلاحظ في قصة أهل الكهف أن بعض الشـــباب الذين هربوا من أهليهم قال بعضهم لبعض: ﴿ **فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِـــنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا** ﴾ (الكهف:١٦) ، فهؤلاء الفتية هجروا ديارهم ، وهـــربوا مـــن أهليهم ، ووجدوا في هذا الكهف الملاذ والأمن والطمأنينة ، ذلك لأن الكهف فضـــاء فســـيح تنتشـــر فـــيه رحمة الله تعالى ، وتشملهم بالرفق واللين والرجاء والأشياء التي يفتقدونها بين أهليهم وذويهم.

ورســـولنا ﷺ كان يجد من وحدته في غار حراء الأنس والهدوء ، حيث كان يتعبد الليالي ذوات العـــدد ولـــيس معه من أحد إلا الله تعالى ، إلى أن جاءه الوحي وهو في هذا الغار فكان خيرا وبركة على الناس جميعاً ، كما أنه لجأ مع صاحبه أبي بكر إلى غار ثور حين كان مطاردا ومطلوبـــاً مـــن قـــريش ، وتعاطف الكون معه فساعد ذلك على إخفائه ، فالشجرة قد مدت ظلالهـــا ، والحمامة قد باضت ، والعنكبوت قد نشر خيوطه ، حتى ظنوا أنه لا يمكن أن يكون أحـــد في هـــذا الغـــار ، وقـــال قائلهم : (إلى هنا وانتهى الأثر ، فإما أن يكون قد صعد إلى السماء ، وإما أن يكون قد نزل إلى الأرض).

بل إن من تعاطف الكون وحبه للإنسان المنسجم معه في سلوكه أن الجماد يتأثر لوفاته ، يقـــول الرســـول ﷺ « **إذا مـــات المسلم بكى عليه موضعان ، موضع سجوده في الأرض وموضع رفع عمله في السماء** ».

ومـــن الزاوية المقابلة ، فإن الكون لا يحزن إذا مات الإنسان الذي لا ينسجم مع الكون في ســـلوكه ، ويســـعى للفساد والإفساد ، وفي ذلك يقول الله تعالى على فرعون وقومه: ﴿ **فَمَا بَكَـــتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ** ﴾ (الدخان:٢٩) ، وهذا كله لا يحس به إلا من سار على منهج الله تعالى ، فهو يحس بالسلام والأمن والاستقرار.

وهكـــذا نلاحظ أن بين ضمير الإنسان وحقائق الكون ألفة ومودة ومواءمة فطرية ، فإذا أقـــبل الإنســـان عـــلى النظر فيها بعقله ، وحصل معانيها لنفسه ، فإنه يكون قد حقق الموازنة والمواءمـــة بيـــنه وبين الكون ، وهو التجانس الذي يكتب له به استقرار الضمير ، وبه يصحب

الكــون على بصيرة وعاطفة ، وتلك حقيقة التوطين الكوني ، وما نراه من بلبلة الأفكار وقلق الضمائر بين بيئات الغرب سببه أن الصلة الفكرية بينهم وبين الكون لا تحقق المواءمة الصورية لاستقرار النفس ، يقول محمد أسد : (إن الإسلام لا ينظر – كالنصرانية – إلى العالم بمنظار أســود ، بــل هــو يعلمــنا ألا نسرف في تقدير الحياة الأرضية ، وألا نغالي في قيمتها مغالاة الحضــارة الغربــية الحاضرة ، لأن الإنسان ينظر إلى الحياة بسكينة واحترام ، وهو يعبر الحياة الدنيا إلى حياة عليا وليس للإنسان أن يحتقرها أو يقلل من قيمة الحياة الأرضية).

وعــلم الإنســان في الحضــارة الغربية يرى أن الحياة تقوم على الصراع المستمر بين كل أطــراف الحــياة بما فيها من البشر والكون ، وقد أصبح في عرف الحضارة الغربية أن العاجز وحــده هو الذي يخضع لمشيئة الله ، وهم يحسون بأنهم غير عاجزين ، وبهذا الدافع اللاشعوري جعــل أبــناء الحضــارة الغربية يحسون أن كل خطوة يخطوها العلم ترفع درجة الإنسان وفي الوقت نفسه تخفض درجة الإله.

وقد كان الغربيون يختطفون من أفريقيا أبناء البلاد الإسلامية الأصيلة ويعذبونهم وينقلونهم إلى أمــريكا وغيرها ليبعهم هناك ، وقد كتب هذا الفصل من المأساة الكاتب الأمريكي المعاصر "ألكســيس هامــلي" ، ونشــره في كتاب بعنوان (جذور) ، وأثبت في هذا الكتاب أن هؤلاء الزنوج لهم جذور عميقة في أفريقيا وأنهم أصلاً مسلمون.

وقــد أصــبح هذا السلوك جزءاً من تكوين الغربيين ، فهم يُدمرون في كل زمان وفي كل مكان ، ومن ذلك القنابل الذرية التي ألقتها أمريكا على نجازاكي وهيروشيما في الحرب العالمية الثانــية ، ومــا حدث في البوسنة والهرسك وكوسوفو والشيشان وإسرائيل والفلبين وكشمير وفلسطين.

والصــراع في الغــرب والتدمير المستمر لا تراعى فيه القيم ولا الأخلاق ولا الحرمات ، ولا تــزال إســرائيل تتعامل مع العرب بهذا الأسلوب وذلك على مرأى ومسمع من العالم كله ومــن هيــئة الأمم المتحدة ، ومع ذلك فلا يحرك أحد ساكنا إلا في الشكل ، إذ أن المسيطرين عليها قد ربوا هذه التربية ولذلك فهم يسلكون هذا السلوك ، وكان من نتيجة هذا السلوك ما ذكره الأستاذ الأمريكى" دينيه دوبو" أحد أبرز زعماء البيولوجيا المعاصرين والحائز على جائزة

نوبـــل عـــام ١٩٧٦م في كـــتابه (إنسانية الإنسان) : (من التناقض أن يكون عصر التقنية هو عصـــر الأمـــراض المزمنة والقلق واليأس ، وقد ظهرت أعراض الغثيان الوجودي والقرف من الحياة) .

وقـــد كـــثرت في هـــذه المجتمعات مشاكل فكرية شديدة كالنـــزاع العنصري ، والفقر المـــادي ، والعزلة العاطفية ، والمظالم بكل أشكالها وألوانها ، والجنون العام الذي يسبب تهديداً دائمـــا بالحـــرب الـــنووية ، وأكبر مشكلات في الحياة المعاصرة شعور الإنسان بأن الحياة قد فقـــدت معـــناها ، فالمشـــاعر الدينـــية والتقاليد الاجتماعية القديمة تنخرها المعلومات العلمية وســـخافات الأحـــداث العالمية الباطلة ، ونتيجة لذلك انتشر تعبير (مات الإله) ، والإله كان يرمـــز إلى وحـــدة الكـــون بمجموعة الخالق والمخلوقات ، وبذلك يصبح الإنسان كسفينة بلا مرساة لا قرار لها.

إعداد الإنسان المسلم:

يـــبدأ إعداد الإنسان المسلم من قبل ولادته ، وذلك باختيار الأب الصالح والأم الصالحة ، ثم العـــناية الكاملة بالطفل وهو في بطن أمه ، ثم بعد الولادة تكون الرضاعة من ثدي الأم ، إلى جانـــب العـــناية الكاملة بالطفل في كل ناحية من النواحي ، فالأسرة هي البيئة الطبيعية لتربية الأطفـــال التربية السليمة الكاملة المتكاملة ، وقد خلق الله تعالى آدم وحواء ونظم الزواج ، ثم جعـــل اختـــيار الـــزوج والزوجة يكون على أساس التقوى وذلك لتحقيق السكن والطمأنينة والـــرعاية الكاملـــة للأبـــناء ، الرعاية التي تحقق للطفل كل ما يحتاجه جسمياً وعقلياً ونفسياً ، والجســـد وديعـــة لدى المسلم وعليه أن يعنى بطعامه وشرابه ولباسه في ظل نظام كامل يضمن الناحـــية التكوينـــية والناحية العلاجية حتى يمكن للمسلم أن يقوم بوظيفته في هذه الحياة طبقاً لمنهج الله تعالى والعقل من الطاقات التي أنعم الله تعالى بها على الإنسان.

والإســـلام يقدر هذه الطاقة ويدربها ، وقد وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي وطلب منه أن يفـــتح بصـــيرته على عوامل التطور الحقيقية في المجتمعات ، ويوجهها إلى استخلاص الطاقة

وتذليلها لخدمة الإنسان ، يقول الله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ (الملك:١٥) .

والعلم وسيلة لتنمية معارف الإنسان وقدراته ، وميزة للإنسان إذا استخدمه استخداماً سليماً في اكتشاف خفايا الكون والابتكار والاختراع ، وذلك يساعد على تحقيق الخلافة ، ولكن الغرور إذا أصاب الإنسان فإن ذلك يؤدي إلى هلاكه ، وغرور بني إسرائيل جعلهم يقلبون الحق باطلاً والباطل حقاً فأهلكهم الله تعالى.

والحضارة الغربية وصل فيها العقل إلى اختراعات رائعة ، ولكنهم استخدموا ذلك استخدامات سيئة فيها الغرور والكبرياء ، فكان ذلك نكبة عليهم وعلى العالم كله.

والعقل إذا فكر الإنسان به تفكيراً سليماً ، فإنه يتوصل به إلى وجود قوة عليا هي التي خلقت العالم ، ولذلك كانت نزعة الإيمان بالله تعالى فطرية عند الإنسان.

والروح هي الطاقة التي يتصل بها الإنسان بخالقه ، وطاقة الروح أكبر طاقات الإنسان التي تؤثر في سلوك الفرد وفي سلوك المجتمع ، فالله سبحانه وتعالى هو السند الحقيقي للإنسان ، وبيده ملكوت السماوات والأرض ، وكل ما يصيب المسلم له ثوابه عند الله تعالى حتى الشوكة يشاكها له ثوابها ، وبذلك يستشعر المسلم الرضا الذي يشيع في حياته الأمن والطمأنينة.

والروح متصلة بالجسم والعقل ، فالتطهر الروحي والانطلاق من قيود الشهوات يتحقق بأن يملك الإنسان بناء نفسه ، والدعوة إلى الاستمتاع تسير جنباً إلى جنب مع الدعوة إلى التسامي ، فينشأ بينهما صور الاعتدال ، ولا تتسرب الكهانة للدين ، والتدين يعني إقامة حصانات وضوابط لبناء النفس على طبيعتها النقية وفطرها الأصيلة.

وقد ربط القرآن الكريم الإيمان بالله تعالى بحسن النظر في الكون وطول التأمل في ملكوت الله ، ومن ثم فلا دين بلا عقل يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ** ﴾ (الأنفال:٢٢) ، والسيطرة على البيئة ضرورة لابد منها لكل رسالة جادة، وامتلاك الحياة العامة ضرورة لصيانة الأجيال الناشئة ، لتنسيق جهود الأفراد وتوجيهها إلى

غاية صالحة ، ومنع أسباب الصدام التي تثير الفوضى.

والحياة العامة كما يريدها القرآن الكريم موجودة في آخر سورة الحج ، وتظهر في الصلاة ، والزكاة ، وعبادة الله تعالى ، وعمل الخير ، يقول الله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ إلى آخر سورة الحج.

ومعنى ذلك أن صلة العبد بربه تستمر طوال الحياة ، وبذلك تعمر الأرض على نحو يصون المصلحة الخاصة والمصلحة العامة ، وتحقق العدالة الكاملة والمساواة بين الناس جميعاً ، كما يحمي الرسالة التي يناط بها شرف الأمة ووجودها المادي والمعنوي. **ومن هنا** رأينا القرآن الكريم يحتوى على كل أنواع المعاملات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية وكل شئون الحياة.

خصائص المجتمع الإسلامي :

علم الإنسان في القرآن الكريم يبين خصائص المجتمع الإسلامي التي تعينه على أداء وظيفته في هذه الحياة ، والمجتمع عامل هام في تربية الإنسان بما له من تنوع فهو يشمل الجيران والأصدقاء والأندية وأجهزة الإعلام والهيئات المتنوعة ، ولذلك فإن الإسلام وضع قاعدة للمجتمع تجعل كل فرد يحس بالمسئولية ، فكل مسلم راع ومسئول عن رعيته ، وقد طلب من كل فرد النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وطلب من كل من رأى منكراً أن يغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان.

والإسلام يرى أن المسلمين جميعاً أمة واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ، وطلب منهم أن يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا ، وأن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، وأن يتواصوا بالحق والصبر ، ثم إن المؤمن مرآة أخيه لا يظلمه و لا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن نَفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، وبين للمجتمع أن الله تعالى خلق الناس جميعاً من ذكر وأنثى ، وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا ، وأن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي

القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، ويطلب من المسلمين جميعا العدل المطلق بين الناس جميعا حتى ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو أزواجهم أو عشيرتهم ، وحتى ولو كانوا أعداء لهم ، كما طلب من المسلمين البعد عن الانفعالات الضارة بالجسم والعقل ، والتي تثير العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع ، وجعل من المتَّقين الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ، ثم بيَّن أنه لا تستوي الحسنة والسيئة ، وعلى المسلم أن يدفع بالتي هي أحسن.

وقد وضع الإسلام للجميع أسسا يقوم عليها المجتمع حتى يستطيع أن يحقق وظيفته ،

فَمن أُسُسِ علم الإنسان في القرآن الكريم :

التوازن :

والتوازن هو القاعدة الكبرى ، فهو يرفض الغلو كما يرفض التفريط ، وهو يعترف بقيمة الفرد ويحمله مسئولية فردية **فكلهم آتيه يوم القيامة فردا** ، **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ، وأفراد المجتمع مسئولون عن المجتمع الذي يعيشون فيه ، وعن عمارة الأرض وإحقاق الحق وإبطال الباطل ، وإهمال بعض أفراد المجتمع لشيء من ذلك قد يؤدى إلى هلاك المجتمع كله ، كما يقول النبي ﷺ في الحديث الشريف الذي رواه البخاري: « **مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أننا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا؟ ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً** » البخاري والترمذي وابن حنبل.

ويتمثل التوازن أيضا في السلبية بالنسبة لله تعالى والإيجابية بالنسبة للبشر ، والإيجابية في حقيقتها تظهر في النظام الواعي الذي يستهدف السيطرة على الحياة ، ويوجهها طبقاً لحاجات الفرد وحاجات المجتمعات البشرية.

ومن التوازن أن يكون الإنسان وسطاً في كل أعماله ، ومن ذلك البعد عن الإسراف

وعـــن التقـــتير ، والتوازن بين مراعاة حق الإنسان لنفسه ولخالقه ولأسرته ولجيرانه وللمجتمع كله.

التميز :

ومـــن أســـس علم الإنسان في القرآن الكريم التميز ، والتميز يكون في الشكل ويكون في المضـــمون ، فالـــرجل المســـلم يتميز عن المرأة بالخشونة، ولذلك فهو منهي عن لبس الحرير والذهـــب ، كمـــا حـــرم تشـــبه بالرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال ، ونهي عن الترف كاستعمال أواني الذهب والفضة.

والمســـلم يتميز بأنه يأكل بيده اليمنى ، ويربي لحيته ، ويصبغ شعره ولحيته عند الشيخوخة، وينظف دائما ثيابه وجسمه وبيته ، ويأمر الإسلام بعدم المعاشرة الجنسية في المحيض ، ذلك لأن المشـــابهة في الظاهر تورث المحبة والموالاة في الباطن ، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر وفي الأخلاق ، وقد تصل إلى المعتقدات.

وقـــد جعـــل الإســـلام أعـــياد المسلمين مرتبطة بالشعائر الإسلامية ، فعيد الفطر مرتبط بالصـــيام ، وعـــيد الأضـــحى مرتبط بالحج إلى بيت الله الحرام ، وحتى في الهزيمة الحربية يتميز المســـلمون بإحساســـهم أنهم الأعلون ماداموا مؤمنين ، وتميز المسلم في المضمون تظهر في أنه يحـــس بكرامته على الله وبمركزه المادي في الكون ، والعقيدة الإسلامية تعطي للحياة معنى لأن الإنســـان الـــذي يكـــون بلا عقيدة يشعر بالتفاهة والضياع ، كما يشعر أحيانا بالغرور الذي يقوده إلى الهاوية.

والإســـلام يـــتعامل مع الإنسان على طبيعته المزدوجة ، فالعقيدة الإسلامية زاوجت بين الجانب المادي والجانب الروحي ، وأعطت لكل منهما حقه دون إفراط أوتفريط.

والمســـلم يتمـــيز بأنـــه لا يكون إمعة يقول: أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أســـاءوا أسأت ، ولكن عليه أن يوطن نفسه على الإحسان إذا أحسن الناس وتجنب الإساءة إذا أساءوا ، ثم إن أفضل الجهاد عند الله كلمة حق عند سلطان جائر.

والمســـلم يتميز أيضا بأنه صاحب رسالة عليه أن يؤديها حتى ينال رضوان الله في الدنيا وفي

الآخرة ، ولا يهمه إلا إرضاء خالقه مهما أصابه من ضرر فإن ذلك يكون في ميزان حسناته.

المسئوليـــة:

المســئولية في علم الإنسان القرآني مسئولية فردية يقول الله تعالى : ﴿ **وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَــا سَعَى**(٣٩) **وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى**(٤٠) **ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى** ﴾ (النجم :٣٩-٤١) ، وقـــد نقل الإسلام بها الفرد من وضع الذوبان الكامل في إطار القبيلة إلى مسئولية الفرد ، ولكنه فـــرد في جماعة ، والتكاليف الإلهية منها الفردي ويتمثل في الشعائر الدينية والربط فيها عضوي ، ونظـــام الديـــن بالمعرفة والعبادة لا يتوصل إليها إلا بصحة البدن ، وبناء الحياة وسلامته قدر الحاجات من السكن والكسوة والطعام والشراب والأمن.

والأمـــة الإســـلامية في عـــلم الإنسان القرآني كيان متميز ، يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ (الأنبياء:٩٢).

وللأمـــة الإســـلامية رســـالة يجب أن تقوم بها ، وتتضح في قوله تعالى: ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾(آل عمران: ١٩٠) .

والـــتفاوت الطـــبعي الاجتماعي نابع من تفاوت القدرات ، والجهد المبذول ، والحوافز ، والذكـــاء الـــذي يستخرج الثمرات ، يقول الله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الـــرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَـــدُونَ** ﴾ (النحل:٧١) ، وإذا اختل التوازن الاجتماعي بين الطبقات فإن الخيوط الجامعة بينها تخلي مكانها لعوامل التناقض والصراع بين الطبقات ، يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ الـــنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ (الحج:٤٠)، وفي آية أخرى يقول: ﴿ **وَلَوْلاَ دَفْـــعُ اللَّـــهِ الـــنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ (البقرة: ٢٥١) .

فـــالدفع الاجتماعي سنة من سنن الله تعالى في المجتمعات ، وهو أداة العودة بالعلاقات التي

خرجـــت عـــن دائرتها لتصبح الأمة هي الجامعة حاملة رسالة الإسلام ، وهناك حد أدنى للعدل يظهر في الإنصاف في القانون وفي الحكم وفي المعاش.

والعـــدل المطلـــوب يكـــون في إقامـــة التوازن بين الطبقات التي تعد وظائفها ضرورات اجتماعية تحقق للمجتمع راحته وأمنه ، وهناك التساند الطبقي الذي يظهر في قوله تعالى :

﴿ نَحْــنُ قَسَــمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ (الزخرف:٣٢).

فكـــل طبقة تكون سندا وعمادا للطبقات الأخرى لا إذلالا ، يقول الله تعالى: **﴿ ءَامِنُوا بِاللَّـــهِ وَرَسُـــولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾** (الحديد:٧).

والإســـلام يضيف مصطلح المال إلى ضمير الجمع في ٤٧ أية مثل أموالكم وأموالهم ، وإلى ضـــمير الفـــرد في سبع آيات مثل ماله وماليه ، والأصل يظهر في قوله تعالى: **﴿ وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ ﴾** (النور:٣٣) ، وفي قوله تعالى: **﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾** (الحديد:٧).

المساواة:

الإســـلام جاء ليرد البشرية إلى أصل واحد ، فلا ميزة لجنس ولا للغة ولا للون وهو بذلك يزيل الحواجز الجغرافية والنفسية ، يقول "ألكسيس كاريل" في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) : (وفي الإسلام صفة أرآها أشرف الصفات وأعظمها وهى المساواة بين الناس ، وهذا يدل على صـــدق الفطـــرة) ، والعلاقة بين المسلمين وبين غيرهم علاقة مودة ومحبة ما داموا راغبين في ذلـــك ، حـــتى ولو لم يكونوا أهل كتاب ، فقد طلب النبي أن يعاملوا معاملة أهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم.

العدالة:

العدالـــة عنصـــر أساســـي في عـــلم الإنسان القرآني ، فالله سبحانه وتعالى يأمر بالعدل والإحســـان ويطلـــب مـــن الناس جميعاً أن يجعلوا العدل رائدهم في جميع الأماكن والأزمان ، وتطبـــيق الشريعة يكون على الناس جميعاً ، والنبي ﷺ يقول « **والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمـــة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها** » البخاري وابن ماجة ، والقرآن الكريم يقول : ﴿ **وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى** ﴾ (المائدة:٨) ، وعمر بـــن الخطاب ﷺ أنصف المسيحي المصري من ابن حاكم مصر عمرو بن العاص وقال لعمرو: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)**؟.**

ولكـــن العدل في الحضارة الغربية قاصر على أهل البلاد أو على بعض طبقاتها ، أما غيرهم فالظـــلم هـــو الأساس لذلك ، لأنها قامت على أساس الحضارة الإغريقية والحضارة الرومانية القديمة والمفاهيم البشرية.

الجهاد :

جـــاء الإســـلام لـــيخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ولتقوم الأمة الإسلامية بقيادة البشـــرية في الطريق المستقيم ، لتحقيق منهج الخالق سبحانه وتعالى ، فمن دخل في الإسلام فإن مـــن واجب الجماعة المؤمنة أن تدافع عنه ، وأن تقاوم الصادين عن دين الله ليكون للناس حرية الدخول فيه إن أرادوا.

وقـــد طلـــب الإسلام من المسلمين أن يقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونهم ولا يعتدوا لأن الله لا يحـــب المعـــتدين ، ولابـــد للدعوة إلى الله قبل القتال ، كما أن القتال لا يكون إلا مع المحـــاربين الصـــادين عـــن دين الله ، وانتهاء الحرب يكون بالاستجابة إلى دعوة الله ، أو رغبة الأعـــداء في إيقـــاف القتال ، أو رغبتهم في البقاء على دينهم في مقابل دفع الجزية أجر الدفاع عـــنهم ، وأسرى الحرب يعفى عنهم عن طريق المبادلة أو عن طريق الفدية ، وإن استرقوا فما أكثر الأبواب التي فتحت للعتق مثل كفارة الظهار وكفارة اليمين والمكاتبة ، إلى جانب معاملة الرقـــيق المعاملة الإنسانية التي تتمثل في المساواة الكاملة في كل الأمور ، بين العبيد والسادة ،

وبـين أفـراد المجتمع كله ، وليس على النحو الذي نراه في المجتمعات الغربية قديما وحديثاً من الاستعباد والإذلال والاستغلال غير الإنساني.

الشـورى :

الشـورى في عـلم الإنسان القرآني ترى أن حرية الفرد أصيلة حتى مع الكفار ، كما أن مصـلحة الفـرد ومصـلحة الجماعة أساسية ، وذلك كله في إطار المفاهيم الإسلامية ، وليس لـلحاكم أن يفعـل شيئاً دون مشورة أهل الذكر ، والقرآن الكريم يحدد الحاكمية المطلقة لله تعـالى ولهـا المرجعية في حياة الإنسان ، يقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِـيعُوا الرَّسُـولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ (النساء:٥٩) ، ويقول: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّـكَ لاَ يُؤْمِـنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ (النساء:٦٥).

وفي هـذا الإطـار : فرض الإسلام على الإنسان أن ينهض بحمل الأمانة التي حملها ، وأن يوفـق بين حياته الفردية وحياته الأسرية وحياته الاجتماعية ، يقود المجتمع ويحكم الدولة ويعمر الأرض بسـلطان الخلـيفة عن طريق الشورى البشرية المحكومة بحدود حاكمية الله تعالى ، وقد أصـبحت الشورى من عناصر الإيمان كاجتناب كبائر الإثم والفواحش وإقامة الصلاة ، يقول الله تعـالى: ﴿ **وَالَّذِيـنَ يَجْتَنِـبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ** (٣٧) **وَالَّذِيـنَ اسْـتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾ (الشورى:٣٧-٣٩).

وأبـو هريـرة الصـحابي الجليل ﷺ يقول (ما رأيت أحد أكثر مشورة من رسول الله) الـترمذي ، وهكـذا نرى الوسطية الإسلامية بين الشورى البشرية وبين الشريعة الإلهية على النحو الذي يـبعد عنها التناقض.

الطاقة البشرية:

ومن أسس علم الإنسان في القرآن الكريم عدم اختزان الطاقة ، فالقرآن الكريم يفرغ طاقة الكـــره في كره الشيطان الذي يبعد الإنسان عن طريق الله تعالى ، ويفرغها في كراهية الشرور والمـــنكرات ، كما يبرز الطاقة الحيوية اللازمة لتحقيق أهداف الحياة ، ويعمل على تربية القوة الضـــاغطة وتنميـــتها بـــربط القلب البشرى بالخالق سبحانه وتعالى وخشيته ومراقبته ، وربط المســـلم بالـــيوم الآخـــر فما متاع الحياة الدنيا إلا قليل والآخرة خير وأبقى ، كما يوجه طاقة المســـلم إلى العمل المنتج المفيد الذي هو ثمرة الإيمان ، والقرآن الكريم يؤكد تأكيداً شديداً على العمـــل الصالح الذي يذكره في عشرات الآيات ، ومنها: ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ آخر سورة الكهف.

العلـــم:

القـــرآن الكريم يعطى أهمية كبرى للعلم ، ولذلك كانت أول آية نزلت في القرآن الكريم: ﴿ **اقْـــرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّـــمَ بِـــالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ (العلق:١-٥) ، وفي الإسلام لا يستوي الذين يعـــلمون والذين لا يعلمون ، ويطلب الإسلام من المسلم أن يطلب العلم من كل مكان ، وأن يســـتمر من المهد إلى اللحد ، ومع ذلك فإن الله تعالى يقول:﴿**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ (الإســـراء:٨٥) ، ويطلـــب من المسلم أن يقول: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ (طه:١١٤) ، وقد رفع الإسلام من شأن العلم والعلماء فقال:﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ (فاطر:٢٨) وقـــال ﴿ **قُـــلْ هَـــلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ** ﴾ (الزمر:٩) .

ومـــن هـــنا فقد انتشر العلم في الحضارة الإسلامية ، وامتدت ميادين البحث والتجربة ، واتخذ العلماء المسلمون من آيات الله في كتابه المحكم حافزا لهم ، وقد لاحظ العلماء الأوربيون أن العـــلم في الإســـلام قد انبثق من القرآن من حيث المنهج وهو منهج حسي عقلي ، أو من

حيث موضوعات البحث ، كما أشار إلى ذلك "موريس بوكاي" في كتابه عن التوراة والإنجيل والقرآن في العلم الحديث ، يقول "موريس بوكاي" المفكر الفرنسي الكبير: (ولأول مرة في تاريخ البشرية القديم نجد الدين الإسلامي يقدم عقلية قادرة على التأويل والابتكار ، وقد طلب الإسلام من الإنسان أن يتأمل ظواهر الطبيعة ، وأن يدرسها كي يكتشف قدرة الله في الخلق وإعجاز الخالق في مخلوقاته) .

مناهج العلم : وهي تتلخص في الآتي:

المنهج التجريبي:

وهو المنهج الذي يستخدم الحواس في إدراك ظواهر عالم الشهادة ، وهذا المنهج من إبداع الحضارة الإسلامية ، وذلك قبل أن ينتقل ويتطور في أحضان الحضارة الغربية ، يقول "جب" في كتابه (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) (أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظة التفصيلية الدقيقة التي قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة ، وأنه - عن طريق هذه الملاحظة - وصل العلم التجريبي إلى أوروبا في العصور الوسطى) .

كما يقول "بريفولت" في كتابه "بناء الإنسانية" : (لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة الإسلامية ، وليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوروبي إلا ويمكن إرجاعها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة ، وكانت أظهر ما تكون في الطبيعة وروح البحث العلمي) .

المنهج التاريخي:

ومن أسس علم الإنسان في القرآن الكريم أن يسيروا في الأرض ، وأن يدرسوا التاريخ ليعرفوا سنن الله في الكون حتى يمكنهم أن يؤدوا رسالتهم على بصيرة ، فإذا ما حدث خطأ ما أمكن تداركه ، وبذلك يعود المجتمع إلى رشده لأنه يعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وأن الذين يخالفون منهج الله تعالى ظالمون لأنفسهم والله تعالى يعاقبهم في الدنيا

وفي الآخرة.

وبذلك تتميز هذه الدراسات التاريخية والسير في الأرض في الرؤية الإسلامية عنها في رؤية الحضـــارة الغربـــية ، لأن الحضارة الغربية تهتم بالجانب المادي فقط ، وغرورها يمنعها من أخذ العـــبرة مـــن التاريخ والآثار ، لكن المسلم ينظر إلى أمر الله تعالى بالسير في الأرض لينظر كيف كان عاقبة المكذبين.

والقـــرآن الكـــريم بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ، والمسلمون مطالبون بأن يجعلوا نصب أعينهم قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُـــونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا(٩)وَأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ (الإسراء:٩-١٠) .

المنهج العلمي:

اهـــتم الإسلام بالمنهج العلمي ، ولذلك لا يوجد صراع بين العقل والدين كما حدث في الغرب ، والمنهج العلمي في الإسلام يقوم على دعامتين:

الأولى : إطلاق العقل ليعمل في الكون كله.

الثانـــية : فهـــم حقـــيقة أن الكـــون محكوم بقوانين وقدر الله تعالى ، ومشيئته لا تسقط عمل القوانـــين ، والقـــرآن الكـــريم يدعـــو إلى الفهم والتدبر فيه ، يقول ﴿ **قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّـــمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ (يونس:١٠١) ، ويطلب من المسلم أن يستخدم عقله في التثبت من كل خبر ، ومن كل ظاهرة ، ومن كل حركة قبل الحكم عليها ، فيقول ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً** ﴾ (الإسراء:٣٦).

والإســـلام لذلـــك يحـــارب التقليد الأعمى وينعي على المقلدين فيقول: ﴿ .. **أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ** ﴾ (البقرة:١٧٠) .

ويلفـــت نظـــر الإنسان إلى الكون ليدرك أن له نظاماً ونواميس مقررة وأنه لم يخلق عبثاً ، فـــيقول: ﴿ **خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ**

فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ (لقمان: ١٠) .

والإنســـان بـــتفكيره الســـليم يمكنه أن يدرك الصلة بينه وبين سائر المخلوقات ، وأن الله تعـــالى مكن له في الأرض وسخر له الكثير من المخلوقات ومن القوى الطبيعية لمنافعه المشروعة، يقـــول الله تعـــالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّـــلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ (الأنعام:٩٧) ، ثم يمكنه أن يتوصل عن طريق العقل ودراسة الطبيعة إلى الإيمان بالله تعالى خالق الطبيعة وخالق الإنسان ، فيقول: ﴿ **فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ (الشورى:١١) .

ذلـــك لأن الإســـلام يوجـــه المســـلم للكشف عن الحقائق ودلالاتها على صفة الله تعالى وإبداعـــه ، يقـــول الله تعالى: ﴿ **وَءَايَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ** ﴾ (يس:٣٣) .

فـــالأرض كانت جرداء من الحياة فأصبحت حية تخرج الزروع والنباتات المختلفة ، وهذا يـــدل على الخالق ، وهذه النظرة بهذه الصورة يفتقدها علم الإنسان الغربي ، ومن هذا المنطلق يطلـــب الإسلام من المسلم أن يستخدم عقله في التثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم.

وإلى جانـــب المـــنهج العـــلمي الذي عرفته البشرية حديثاً يقيم الإسلام مراقبة الله تعالى ، وهـــذه ميزة من ميزات العلم في الإسلام ، ومتى استقام القلب والعقل على منهج الله تعالى لا يـــبقى مجال للوهم أو الخرافة في عالم الحقيقة ولا يبقى مجال للظن أو الشبهة في الحكم والتعامل مـــع الـــناس ، بـــل لا يـــبقى مجـــال للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والـــتجارب ، والعلـــوم والأمانة العلمية التي يفخر بها الغرب في العصر الحديث ليست سوى طـــرف مـــن الأمانـــة العقلية والقلبية التي يقيمها القرآن في نفوس المسلمين ، ويجعل الإنسان مســـئولاً عـــن سمعـــه وبصره وفؤاده أمام الله تعالى فهي أمانة الجوارح والعقل والقلب ، يقول

الحديث الشريف الذي رواه أحمد « **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث** » .

العمل الصالح:

وعلم الإنسان في القرآن الكريم يرى أن المسلم مكلف بالعمل الصالح الدائم المنتج ، الذي يجعــل المســـلم قادراً على عمارة الأرض في حدود إمكاناته الجسمية والعقلية ، والله تعالى يريد بعــباده اليســـر ولا يريد بهم العسر ، وما جعل عليهم في الدين من حرج ، والنبي ﷺ يقول : « **مــا خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه** » رواه الشـــيخان ، والعمل الصالح المفيد هو ثمرة الإيمان بالله تعالى ، والقرآن الكريم يؤكد تأكيداً واضــحاً عــلى العمـــل الصالح في عشرات الآيات ، ومنها قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُــوا الصَّـــالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ (يونس:٩) .

والعمـــل الصالح يشمل كل ما يقوم به المسلم نحو ربه ، ونحو نفسه ، ونحو أسرته ، ونحو مجـــتمعه الإســـلامى ، ونحو المجتمعات الإنسانية كلها ، وما أصدق الدكتور "هوكنج" أستاذ الفلســـفة بجامعـــة هارفارد الأمريكية حيث يقول في كتابه (روح السياسة العلمية) (إني أشعر بـــأني عـــلى حـــق حـــين أقر بأن الإسلام فيه كل المبادئ اللازمة للحياة ، وهذا على عكس الفلســـفات البشـــرية ، فهي متأثرة بقصور الإنسان وملابسات حياته ، فهي لذلك تقصر عن الإحاطـــة بجمـــيع الاحتمالات في الوقت الواحد ، وقد تعالج ظاهرة فردية أو ظاهرة اجتماعية لعـــلاج يؤدى بدوره إلى ظهور ظاهرة مرضية أخرى تحتاج إلى علاج جديد ، لأن الفلسفات البشرية تعجز عن الإحاطة بالنفس البشرية في كل أطوارها وأحوالها) .

الصبر:

الصبر من العناصر الأساسية في علم الإنسان القرآني ، والصبر يجعل المسلم راضيا في حياته قـــادراً عـــلى أداء وظيفـــته ، وقد وردت كلمة الصبر في القرآن الكريم في أكثر من مائة آية ، وهـــي تـــدل عـــلى العزيمة القوية ، يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ**

﴿ الأُمُــورِ ﴾ (الشــورى:٤٣) ، ويقول: ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (آل عمران: ١٨٦) ، وطلب من المسلمين أن يصبروا وأن يصابروا وأن يرابطوا فقال: ﴿ يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ ءَامَـنُوا اصْـبِرُوا وَصَـابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمـران: ٢٠٠) ، وبين لهم أن الابتلاء من سنن الله تعالى في الكون ليمحص الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، فمن يصبر فإن ذلك يعد من قوة العزيمة وذلك في ميزان حسناته ، يقول الله تعـالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّـرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة:١٥٥) وهناك صبر جميل يظهر فيه أن الإنسان يعتبر أن ما أصابه مـن الابتلاء فيه الخير له وإن كان لا يعلم وجه الخير ، تكرر ذلك في قصة يعقوب عليه السلام حيث قال لأخوة يوسف حين عادوا من غيره مدعين أن الذئب قد أكله فقال: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ (يوسف:٨) .

وعـند عودتهـم من مصر بدون ابنه الثاني قائلين: إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا ومـا كنا للغيب حافظين ، قال﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (يوسف:٨٣) .

جزاء الصابرين:

وقد بين الله سبحانه وتعالى جزاء الصابرين في عديد من الآيات فقال: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَـبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل:٩٦) ، وقال: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْـرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر:١٠) ، وقال: ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (الفرقان٧٥-٧٦) .

والصبر إرضاء لله تعالى يبعث في نفس المسلم الأمن والطمأنينة ، وهذا يحميه من الأمراض الجسـمية كالسكر والضغط وتصلب الشرايين والأمراض النفسية والأمراض العقلية واليأس من الحياة.

والجـزع صـفة مـن صفات الإنسان نبهنا الله تعالى إليها في قوله: ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ (المعارج١٩-٢١) ، ولكنه

استثنى من ذلك المؤمنين الملتزمين المتصلين بالله تعالى ، وقد بين ذلك الله تعالى في قوله: ﴿ **إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ** ﴾ (المعارج:٢٢-٣٥) .

الشكر:

ومن العناصر الأساسية في علم الإنسان القرآني الشكر ، وقد وردت كلمة الشكر في ٧٥ آية من آيات القرآن الكريم ، والشكر لله هو أساس الحياة السعيدة المنتجة ، ويكون الشكر على نعم الله تعالى التي لا تعد ولا تحصى على عباده ، وعلى العباد أن يفكروا في نعم الله تعالى عليهم حتى يوفوه حقه في الشكر ، يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ** ﴾ (الأعراف:١٠) ، وقال: ﴿ **وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ (النحل:١٤).

ثم بين أن نعم الله تعالى على عباده كثيرة ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، فقال : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ** ﴾ (البقرة:٢٤٣) ، وطلب منهم أن يذكروا الله سبحانه وتعالى فيذكرهم ، وعليهم أن يشكروه ولا يكفرون فقال: ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ** ﴾ (البقرة:١٥٢).

ثم بين في آيات أخرى أن المسلم المحسن يشكره الله تعالى على ما قدمت يداه من خير وشكر لله ، فيقول: ﴿ **إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا** ﴾ (الإنسان:٢٢) ، وقال: ﴿ **وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا** ﴾

(الإسراء:١٩).

كيف نشكر الله تعالى ؟

شــكر الله تعــالى يكــون بالاعــتراف بفضل المنعم عز وجل ، ورد كل شيء إلى نعمه وكــرمه ، واستعمال نعم الله تعالى المادية و المعنوية في طاعته ، والتحدث بنعم الله عز وجل ، وظهــور أثر نعمة الله تعالى على عبده ، وشكر الجوارح يكون بصونها عن المحرمات ، وشكر اللسان يكون بالثناء على المنعم ، وشكر القلب يكون بتصور النعمة.

يقول عمر بن الخطاب ﷺ ما ابتلاني الله تعالى إلا شكرته على أربع :

١- أن المصيبة كانت في دنياي و لم تكن في ديني .

٢- أنها لم تكن أعظم من ذلك.

٣- أن الله رزقني الصبر عليها.

٤- أني أرجو الثواب عليها من الله تعالى.

والشــكر يجعــل الإنســان الشــاكر يحــس بأنه قريب من الله خالقه ، فيشعر بالأمن والاطمئنان والراحة والسعادة ، وبذلك يستطيع أن يؤدي وظيفته في عمارة الأرض.

البعد عن الظلم :

مــن العناصــر الأساسية في علم الإنسان القرآني عدم الظلم ، وقد ورد الظلم في القرآن الكريم في نحو ٢٧٠ آية ، والظلم أنواع:

فهــناك ظلم الإنسان لنفسه ، كابن نوح الذي كان مع والده في السفينة وقال: سآوي إلى جــبل يعصــمني من الماء ، فقال له أبوه: لا عاصم اليوم من أمر الله فكان من الغارقين ، وابن آدم الــذي قــتل أخاه لأن الله تعالى تقبل من أخيه و لم يتقبل منه ، مع أن أخاه لا ذنب له في ذلــك ، ونصحه قائلا :إنما يتقبل الله من المتقين ، ثم بين له سلوكه معه فقال : لئن بسطت إلي يــدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك أني أخاف الله رب العالمين ، وقوم موسى ظلموا أنفسهم باتخاذهم العجل ، ولقمان نصح ابنه وقال له ﴿ **يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ**

عَظِـيمٌ ﴾ (لقمان:١٣) ، وقارون ظلم نفسه لأنه بغى على قومه وتكبر وتجبر ، وقال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ، فقال: إنما أوتيته على علم عندي.

والله سبحانه وتعالى لا يظلم أحدا ، ولا يحب أن يظلم إنسان إنسانا آخر ، ويطمئن الذين يعملون الصالحات بقوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت:٤٦) ، ويقول: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْمًا وَلاَ هَضْمًا ﴾ (طه:١١٢).

ويطلب المسلمين أن يبتعدوا عن نصرة البعيدين عن الله تعالى مهما كانت درجة قرابتهم، فيقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (التوبة:٢٣).

وطلب النبي ﷺ من المسلم أن ينصر أخاه ظالما أو مظلوما ، وحين تعجب الصحابة من ذلك وقالوا : يا رسول الله ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ، قال : أن تأخذوا على يده فذلك نصره ظالما.

ضبط الغريزة:

ومن العناصر الأساسية في علم الإنسان القرآني ضبط الغريزة الجنسية ، والضبط يأتي أولا من ربط القلب البشري بالله سبحانه وتعالى ، ومراقبته في كل عمل ، ومن ربط المسلم باليوم الآخر ، ذلك لأن الإنسان يتلهف على لذائذ هذه الحياة حين يحس بأن فرصته في الدنيا هي الفرصة الوحيدة فهو ينتهزها قبل أن تفوت ، لكن المسلم يؤمن بأن متاع الحياة قليل وأن الآخرة خير لمن اتقى.

والإسلام يستنفد طاقات الإنسان النفسية في اتجاهات عليا لا تلجأ إلى المتاع الحسي وحده ، كما يستنفد الطاقة الجسمية في تحويل الفائض منها عن أن يستغرق في متاع حسي ، فهو لذلك – عن طريق الإعلاء – يحث على الفروسية ، لأنها رياضة ترفع النفس عن محيط الحس ، وتوجه الطاقة إلى منصرف نبيل يقوي الجسم ويعين المسلم على أداء وظيفته ، وهو يقيم المجتمع كله بصورة لا تلغي الدوافع الفطرية في الإنسان ، ولكنها تمنع الإسراف في كل

شـــيء ، والإســـلام يمنع المثيرات ويأخذ الطريق على أسباب الإثارة ، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِــنِينَ يَغُضُّــوا مِــنْ أَبْصَــارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور: ٣٠)، ويقول:﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُــبْدِينَ زِينَــتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ (النور : ٣١) ، وذلــك حتى لا تــثار الشهوات ، كما أنه جعل للبيوت حرمات ، فلا يدخل الإنسان بيتا إلا بعــد الاستئذان ، والإذن بالدخول له ، وذلك حتى لا تطلع الأعين على عورات من بالداخل وهم في غفلة ، مع غض البصر من الرجال والنساء .

وقــد رفــع الإســلام ذوق المجتمع الإسلامي وطهر إحساسه بالجمال ، فلم يعد الطابع الحــيواني للجمال هو المستحب بل الطابع الإنساني المهذب ، وجعل جمال الحشمة هو الجمال النظيف الذي يرفع الذوق الجمالي ويجعله لائقا بالإنسان الذي يقوم بدوره في عمارة الأرض.

الإخاء الإنساني:

مــن أهــم عناصــر علم الإنسان القرآني (الإخاء الإنساني) ، الذي يزيد في محبة الناس بعضــهم على بعض ويعطيهم الأمل والطمأنينة والراحة النفسية ، ولا يقف الإخاء عند حدود وطــن أو جــنس أو لــون ، يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (الحجرات:١٣).

فــالله ســبحانه وتعــالى جعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا ، لا ليطغى بعضهم على بعض ، ولا ليســتعلي بعضهم على بعض ، وهذا منتهى المساواة التامة في الحقوق والواجبات بين أفراد البشرية كلها ، تقول الدكتورة "لورا فاجليرى" في كتابها (تفسير الإسلام): (بيــنما كــان الــناس يقاسون من الفوارق الاجتماعية أعلن الإسلام المساواة بين البشر و لم يصبح لمسلم امتياز عــلى مســلم بأهلــه أو بأي عامل آخر يتعلق بشخصه ، وإنما أصبح الميزان خشية الله تعالى والعمل الصالح والقيم الخلقية) .

والإخــاء الإنســاني يستلزم العدل الذي جعله القرآن الكريم واجبا على كل فرد وواجب عــلى كــل مجتمع ، حيث يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا

وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ (النساء:٥٨).

والمسلم شخصيته قوية لا تتأثر بالرأي العام إذا كان مخطئا ، ولا يكون سلبيا في مقاومة الأخطاء لأنه صاحب رسالة ، يقول النبي ﷺ: **« لا يكن أحدكم إمَّعَة يقول أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم أن تحسنوا إذا أحسن الناس، وأن تتجنبوا إساءهم إذا أساءوا »** البخاري.

السلام:

الفلسفات الغربية تدعو إلى سلام الإنسان مع الإنسان ، ومع ذلك فعند التطبيق لا نجد لذلك أثراً ، لكن الإسلام يدعو إلى السلام مع الوجود كله ، سلام الإنسان مع الإنسان ، وسلام الإنسان مع الحيوان ، ومع النبات ، ومع الجماد ، لأن كل هذه الأشياء مخلوقة لله تعالى تعين الإنسان على أداء وظيفته وقد سخرها الله تعالى له لذلك.

وإذا كانت الدول المتحضرة في العصر الحديث تتحدث عن حقوق الإنسان قولاً لا عملاً ، فإن الإسلام قد حدد هذا كله منذ أكثر من أربعة عشر قرنا قولاً وعملاً وزاد عليه كثيراً ، ومن هنا وجدنا الرسول الكريم يقول: **« في كل ذات كبد رطبة أجر »** ، وكذلك حديث الرجل الذي سقى الكلب من البئر حين أحس بعطشه فغفر الله له ، بل إن إباحة ذبح الحيوان إنما هي مرهونة لمصلحة الإنسان ، فالإنسان يمنع ذلك إلا للأكل ، على أن يكون الذبح باسم الله الذي أباح ذلك ، لذلك كان جعل الطائر هدفاً للعب أو التسلية غير جائز على الإطلاق.

الثروة:

الثروة في علم الإنسان القرآني ملك لله تعالى ، فهو الذي خلق لعباده ما في الأرض جميعاً، ولكن لا حصاد بدون غرس ، ولا وفرة في الإنتاج دون كثرة في الجهود ، وعلى الناس أن يمشوا في مناكبها وأن يبذلوا جهودهم في عمارها وأن يأكلوا من رزق الله.

وفساد الأمم يأتي من البعد عن المنهج السليم ، واقتراف الآثام ، وانتهاك محارم الله تعالى، والإسلام يحارب الرذائل بصرامة ، ولكنه يفرق بين نوعين من المعاصي:

الأول: ذلـــك الـــذي يترلـــق إليه البشر وهم شبه مغلوبين على إرادقم وإدراكهم في أوقات الضعف ، وما يكاد المترلق يسقط حتى ينهض.

الثاني: الشـــر المتعمد المستقر الذي تتواطؤ الجماعة على فعله ، وتتعاهد على نمائه ، وتجعل بقاءه جـــزءا من حياتها ، وهذا هو الذي نزلت الآيات الكريمة بأعنف وسائل الترهيب منه ، ووضـــحت معايير الذين وقعوا فيه حيث يقول: ﴿ **أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْـــدِ أَهْلِهَـــا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ** ﴾ (الأعراف: ١٠٠) ، ويقول: ﴿ **وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ** ﴾ (القصص: ٥٩).

ومـــن خصائص علم الإنسان القرآني أن يسير المسلمون في الأرض ، وأن يدرسوا التاريخ لـــيعرفوا ســـنن الله في الكون حتى يمكنهم أن يؤدوا رسالتهم على بصيرة ، فإذا ما حدث خطأ أمكـــن تداركـــه ، بينما الحضارة الغربية تنقسم إلى رأسمالية بلا حدود أو شيوعية بلا حدود ، وقـــد الهـــارت الشـــيوعية تماماً من الداخل ، ومن المنتظر أن تنهار الرأسمالية أيضا من الداخل خـــلال أعوام ، وبذلك يعود المجتمع إلى رشده لأنه يعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، والله تعالى يعاقبهم في الدنيا وفي الآخرة على ما قدمت أيديهم.

ومـــن الحضـــارات الـــتي يمكـــن دراستها وأخذ العبر منها الحضارة الإغريقية والحضارة الرومانية والحضارة الفرعونية والحضارة الفارسية ، والقرآن الكريم يقول عن فرعون وملئه بعد غـــرقهم في الـــبحر: ﴿ **كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَـــانُوا فِـــيهَا فَـــاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ** ﴾ (الدخان: ٢٥-٢٩).

الدَوْلَـــة:

عـــلم الإنســـان في الحضـــارة الغربية يوجد فيه تناقض وتصادم بين الدين والدولة ، لأن العنصـــرية عندما حكمت بالحق الإلهي زعمت لقانونها وممارساتها قدسية الدين ، فكان الجمود والاســـتبداد الذي عرفته أوروبا في عصورها المظلمة في ظل القيصرية والبابوية ، والبابوية عندما

اســتولت عــلى حكم الدولة أصبغت قدسيتها الدينية على المتغيرات الدنيوية ، فكان الحكم والجمود والرجعية والاستبداد.

والنهضــة الأوروبية الحديثة لم يكن أمامها إلا العلمانية ، وكان ذلك مبررا للفكر العلماني في فصــل الديــن عن الدولة لتناقضهما ، ثم إن رسالة المسيح عليه السلام رسالة روحية تقف عند خلاص الأرواح ، وقالت: (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله).

بينما علم الإنسان القرآني أقام منهجه على العلاقة بين الفرد والمجتمع وبين الدين والدولة، ورأس الدولة ومؤسساتها بشر يصيبون ويخطئون ، وأبو بكر خليفة المسلمين قال على المنبر بعد توليــه الخلافة: (إني وليت عليكم ولست بخيركم ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فــلا طاعــة لي عليكم) ، وهذا يدل على انتفاء العصمة عن رأس الدولة ، وأمير المؤمنين عمر بــن الخطاب قال وهو على المنبر: (أصابت امرأة وأخطأ عمر) ، والرسول الكريم معصوم في الرسالة وفي التبليغ عن الله ، أما في أمور الدنيا فهو يقول (أنتم أعلم بأمور دنياكم) .

وفي سياسة الدولة وقيادتها هو بشر يجتهد ويستشير صحابته فيما يعرفون من شؤون الدنيا ومــتغيراتها ، وهــو لا يرى أنه متميز على أحد من سائر البشر ، وفي مرضه الأخير قال ﷺ : **« مــن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد مني ، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد مني ، ومن أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه ، ولا يخشى الشحناء فإنها ليست من شأني »** .

والدولــية الدينــية بالمفهوم الغربي كانت تخوض الحروب الدينية لتجعل / بالإكراه / كل رعيتها متدينة بدينها ، بل وبمذهبها الديني.

أمــا الإسلام فليس فيه إكراه في الدين ، وغير المسلم هو من خلق الله تعالى يجمعه ذلك مع المســلم ويســوي بينهما ، فهو مواطن يستوي مع المسلم في حقوق المواطنة وواجباتها ، وإذا والى المســلم فــيها غير المسلم على حساب الإسلام والمسلمين فإن ذلك إثم كبير ، يقول الله تعــالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾** (المائدة:٥١).

والدولـــة في الإسلام تحقق ما عرض على المسلمين من الفرائض والواجبات الدينية ، يقول الله تعـــالى: ﴿ إِنَّ اللَّـــهَ يَأْمُـــرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِـيعُوا اللَّـــهَ وَأَطِـيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُـــولِ إِنْ كُنْـــتُمْ تُؤْمِـــنُونَ بِاللَّـــهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (النساء: ٥٨،٥٩) .

والأمـــة الإسلامية هي مصدر الدولة تختار رأسها وأجهزتها بوساطة أهل الاختيار ، وتجربة المســـيرة الحضارية والتاريخية للأمة الإسلامية مع المنهج الإسلامي ترينا صدق ذلك وعدله على مـــدى وفاء هذا المنهج بانتفاء خطر الكهان ومخاطر احتكار السلطة للكهنة ، فليس في التاريخ الإســـلامي حكومـــة فقهاء ، ولكن في المنهج الإسلامي بَابُ سد الذرائع وإغلاق المنافذ التي تكدح فيها ظلال الكهانة والكهنوت واحتكار السلطة.

الجمال:

الجمـــال في علم الإنسان في القرآن الكريم يؤدي إلى إعلاء الغرائز ، وبذلك يؤدي عملا أخلاقـــيا ، والشيء الجميل هو الذي يريح نفس الإنسان ، ويجعل النظر إليه محببا ويبعث على التخـــيل ، وإدراك الجمال لموضوع ما معناه التأمل بعمق فيه وإدراك ما فيه من اتساق وانسجام في أثـــناء التخـــيل ، ويبصر الإنسان فيه معنى من المعاني التي ارتبطت بينه وبين نفسه وفي ذلك إدراك لحقيقة الجمال.

ونحـــن نـــدرك القـــيمة الجمالية لموضوع ما تثيره أجزاؤه المتناسقة المنسجمة مع التمثيل ، فالإنســـان يشـــعر بجمال المنظر المعين لأنه يبعث على إثارة مكونات نفسه ، ويجد الإنسان فيه تزويدا لما تتجاوب له جوانب قلبه وصدى ملحا من أصواته النفسية.

والاســـتمتاع بالجمـــال يغذي الوجدان والرغبات المكبوتة في داخل النفس ، ولذلك فإنه يعمـــل عـــلى تجديد طاقات الإنسان وتنويع مظاهرها واتزان نواحيها ، وفي الطبيعة والتأمل في بدائعهـــا اســـتمتاعات جماليـــة لا حصر لها لأنها تجعل الإنسان يرى نفسه عنصرا من عناصر

الطبـيعة مُـنْدَمجاً بين أعضائها ، وأول درجة في الجمال النفسي واستمتاعها يظهر في التأمل الهـادئ ، إذ كـثيرا ما تطغى ماديات الحياة على معنوياتها ، وكثيرا ما تغطي على نداء القلب ونـداء الضـمير ، فـإذا صفت النفس صارت قابلة للاستمتاع بالجمال لأن الصفاء والجمال يمـثلان الحركة في الحياة ، وفي التأمل في الطبيعة وبدائعها استمتاعات جمالية لا حصر لها ، لأنها تجعـل الإنسـان يـرى نفسه عنصرا من عناصر تلك الطبيعة ، عنصرا مندمجا بين أعضائها ، فالمـتأمل الهـائم والشـاعر المتأمل كل منهما عاشق من عشاق المعرفة يتعشقها لمنفعة جمالية ولغذائـه الـروحي ، وهذه المعرفة لها أثرها وقيمتها لأنها تؤثر في أعماق الوجدان وفي ارتفاع قيمة النفس وفي تنظيم نواحي الحياة وغاياتها الروحية.

وقـد عـني القـرآن الكريم بالجمال عناية واضحة ، فالله سبحانه وتعالى خلق كل ما هو جمـيل ، خلـق الإنسان وأحسن خلقه ، يقول الله تعالى: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ (الـتغابن:٣) ، وخلق كل ما يحيط بالإنسان في الكون في صورة جميلة يراها الإنسان ، ويمعن الـنظر فيها ، ويتمتع بما فيها من جمال ، ذلك لأن نظام هذا الكون قائم على كمال الوظيفة كما هو قائم على الجمال ، فالسماء جميلة وقد زينها الله تعالى وجعلها متناسقة ، فقال: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾ (الصافات:٦).

والإنسـان إذا نظـر إلى السـماء وما فيها من كواكب متناثرة يرى أجمل منظر تقع عليه العـين ، ويمكـن للإنسـان أن ينظر وأن يطيل النظر والتأمل بدون أن يمل ذلك ، فهو يرى الـنجوم تلمع في السماء بنورها وتغير منازلها ليلة بعد ليلة وبذلك يحس الإنسان بالمتعة التي لا تمـل أبـدا ، ومـثال ذلك ما نراه في آية أخرى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلـنَّاظِرِينَ ﴾ (الحجـر:١٦) ، وذلك هو الخط الأول في لوحة الكون العريضة التي تنطق بآثار الـيد المـبدعة ، وقـول الله تعالى ﴿ وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾ لفتة إلى جمال الكون وبخاصة تلك السـماء التي نراها فوقنا ، نلمس عظمتها وروعتها ونحن نحس بالكون وبأن الجمال مقصود في خلقه.

والمـتأمل في الآيـة الكريمة يحس — إلى جانب الضخامة والدقة — الجمال الذي ينشأ من

تناســـقها جمـــيعا وينتظم المظاهر كلها ، ونظرة واحدة إلى السماء في الليلة الحالكة الظلام أو اللـــيلة المقمرة تجعلنا نحس بعمق الجمال الموجود في الكون الذي تبرزه الآية الكريمة ﴿ **وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ** ﴾ .

والمـــتأمل في الأرض يجـــد الكمال في كل ما تقع عليه عينه ، يجده في الزرع النامي والثمر الـــيانع والجنان الورافة ، ويجده في النبتة التي تخرج من ظلام الأرض إلى نور الحرية ، كما تجده في امـــتلاء الغصـــن بالورق الأخضر والثمار الناضجة التي منَّ الله تعالى بها على عباده في قوله: ﴿ **لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ** ﴾ (يس:٣٥) ، وفي هذه المناظر الخلابة تأتي الآية الكريمة: ﴿ **وَءَايَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْـــتَةُ أَحْيَيْـــنَاهَا وَأَخْرَجْـــنَا مِـــنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ** ﴾ (يس:٣٣) ، وذلك يعطي للإنسان إحساسا بالحياة والزروع والجمال في هذه الحركة.

وســـورة النحل تتحدث عن الخيل والبغال والحمير وما فيها من فوائد ، وتؤكد على أهمية الناحـــية الجمالية لأنها أطنبت في الحديث عنها حيث قالت: ﴿ **وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِـــينَ تَسْـــرَحُونَ** ﴾ (النحل:٦) ، وقد بدأت الإراحة مع كونها متأخرة في الزمن لما فيها من جمـــال الاستمتاع بمناظرها وهي راجعة ممتلئة سمينة ، وهو منظر قد لا يعيه تماماً إلا أهل الريف، فالجمـــال عنصـــر أصيل في علم الإنسان القرآني ، والدعوة إليه مطلوبة تلبيه حاسة الجمال عند الإنســـان ، وهي دعوة إنسانية رائعة تبين الشعور الإنساني المرتفع على حاجة الحيوان ، فالكون بما فيه من هندسة يجتمع فيها الجمال إلى جانب الكمال.

وبـــالذوق الجمالي ينطبع فكر الإنسان ويجد في نفسه نزوعاً إلى الإحسان في العمل ، وأي شيء يعمله الإنسان – مهما كان ضئيلاً في نظرنا – له صلة كبرى بالجمال.

وبذلـــك يلـــتقي الجمال بالعقيدة كما تلتقي المتعة الحسية بالمتعة الروحية ، وتصفو سريرة الإنســـان ويصبح مسلما صالحاً ، لأن الحواجز النفسية زالت عن نفسه حين وسع أفقه واتصل بخالقـــه ، وبذلـــك يعـــيش في سعادة وراحة ويؤدي رسالته الإنسانية التي خلقه الله تعالى من أجلها.

وعـــلم الإنسان في الحضارة الغربية ركز على جمال المرأة ليستفيد منها فائدة مادية ، وكان

ذلك سبباً في فساد الأخلاق وضياع الشعوب وانهيار الحضارة الغربية من الداخل.

الرجل والمرأة:

عـــلم الإنسان في القرآن الكريم يرى أن الإنسان نوعان من جنس واحد **الرجل والمرأة** ، والله ســـبحانه وتعـــالى خلـــق الذكر والأنثى يكمل كل منهما الآخر لتحقيق الأمن والسكينة والاطمئـــنان والـــراحة النفســـية ، والجو الهادئ الذي يتربى فيه الأبناء الذين يجدون مطالبهم الجســـمية والعقلـــية والنفسية ، والرجل والمرأة يتساويان في التكاليف وفي الحقوق والواجبات وفي الحساب والجزاء ، يقول الله تعالى: **﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِـتِينَ وَالْقَانِـتَاتِ وَالصَّـادِقِينَ وَالصَّـادِقَاتِ وَالصَّـابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِـعَاتِ وَالْمُتَصَـدِّقِينَ وَالْمُتَصَـدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَـاتِ وَالذَّاكِـرِينَ اللَّـهَ كَـثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾** (الأحزاب:٣٥).

وقـــد أقر الإسلام الواقع الطبيعي المتمثل في تميز المرأة بالأنوثة وتميز الرجل بالذكورة ، وبما لهـــذا التميز من حكمة استهدفت تكاملها كما يتكامل الشقان المكونان للشيء الواحد فيجمع لهما المساواة والتكامل في نفس الوقت مميزة عن تساوي الأنداد.

وقوامـــة الـــرجل تســـتهدف التكامل المحقق لسعادة الأبناء ، وقد حرر الإسلام المرأة من القـــيود الاجتماعية والاقتصادية والعرقية وغيرها ، ومن طريف ما سجله التاريخ أن أسماء بنت يـــزيد الأنصارية قالت للنبي ﷺ وهو جالس بين أصحابه معلنة أنها إنما جاءت متحدثة باسم غيرهـــا مـــن النســـاء اللاتي اجتمعت آراؤهن على طلب مساواتهن في الأجر بالرجال مع تمايز الأعمال بين الفريقين قالت: (إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين يقلن بقولي وعلى مثل رأيي ، وقالت إن الرجال يجاهدون في سبيل الله فينالون ثواب الجهاد والاستشهاد وهن لا يفعلـــن ذلك) ، فقال النبي ﷺ (أسمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه؟) ، قالوا:

لا يـــا رســـول الله فقال النبي: (انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبذل المرأة زوجها يعدل ذلك كله).

وعـــلم الإنســـان القـــرآني يرفض مساواة تماثل الأنداد الذي تطالب به الحضارة الغربية ، وتمـــاثل الندية جعل المرأة المتحررة هي صورة المرأة المسترجلة الإسبرطية ، أو الغانية الرومانية ، أو ســـلعة الإعلان الرأسمالية ، يقول الله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُـــمْ مِـــنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ** ﴾ (النحل:٧٢).

الجامعة الإسلامية :

الأمـــة الإســـلامية جامعـــة بعقـــيدتها وشريعتها وحضارتها ، ومنهج الله تعالى هو الموجه لفكـــرها وعملها في كل الميادين وله الانتماء الكامل ، والإسلام رابطة جامعة تعلو على روابط الأنســـاب والأعراق والأموال والأوطان ، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْـــنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـــاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْـــرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ (التوبة:٢٤) ، وحين نادى نوح ربه قائلا: ﴿ **رَبِّ إِنَّ ابْـــنِي مِـــنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ** ﴾ (هود:٤٥) ، أجابه ربه في وضوح قائلا: ﴿ **يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْـــمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ ، ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ (هود:٤٦-٤٧).

والإســـلام يتعامل مع الإنسان من خلال الواقع ، فهو يحب ويكره ، ويقيم ويهاجر ، وتحـــت مظلـــة الإسلام يعيش الإنسان بين ولائه لأهله وقومه بشرط اتساق اللبنات الجزئية في البـــناء الواحـــد ، فإذا كان حب المواطن المسلم لوطنه الإقليمي واتباعه له لبنة من لبنات الولاء

الأعظـــم للإسلام فإن ذلك مطلوب ، وقد أحب النبي ﷺ مكة وقال: (والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إلي ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت).

ولكـــن هـــناك فرق بين الولاء للحق والحب العادل للقومية وبين العصبية الظالمة في هذا الانتماء ، وقد نهى النبي عن عصبية الجاهلية وقال « **دعوها فإنها منتنة** » رواه الشيخان.

وقـــد ســـأل وائـــل بن الأسيمع رسول الله ﷺ قائلا: يا رسول الله أمن العصبية أن يحب الرجل قومه؟ قال: « **لا ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم** » ، رواه أحمد وابـــن ماجـــه ، والله ســـبحانه وتعالى يقول : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا** ﴾ (آل عمران:١٠٣).

والإســـــلام جعل المسلمين جميعاً كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، والجسد الواحد إذا اشـــتكى مـــنه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ، ثم إن المؤمن مرآة أخيه لا يظـــلمه ولا يســـلمه ، والديـــن يظهـــر في النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، والمؤمـــنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، فـــإذا برئت الوطنية من العصبية التي تقيم التناقض بينها وبين عالم الإسلام وجامعته ، وإذ غدت سبيلا إلى العالمية الإسلامية وليست قيداً عليها ولا انتقاصا منها فإن في ذلك الخير.

ويلاحـــظ أن العصـــبية القومـــية العلمانية تحارب إسلامية الواقع والفكرة في مجتمعها ودولتها ، وهـــى ضد الصيغة الإسلامية لوحدة الأمة بل إنها تقطع روابط الأمة ، وهى لذلك تقترب من العصبية الجاهلـــية ، ومـــا حدث في الحروب الصليبية وما حدث في البوسنة والهرسك وكوسوفو والشيشان والفليبين وكشمير وغيرها دليل على ذلك.

التقدم الحضاري:

وهكـــذا نرى أن علم الإنسان في القرآن الكريم يرينا أن التقدم الحضاري الإسلامي روح تكمـــن وراء الاتجـــاه المادي والفكري ، فإذا تطورت الروح أو تغيرت تغير العالم من حولها ، والآيـــة الكـــريمة: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾ (الرعد:١١) تبين لنا

د ـــ ت وبلاحــظ أن تعــبير ﴿ أَنْفُسِهِمْ ﴾ هو الذي يحدث التغير الحقيقي الذي يتكامل فيه الظاهـــر والباطن ، وغاية هذا التعبير أن يتطابق القول والعمل ، وأن يتحول الإيمان من القلب إلى إيجــاده عملــياً في واقع الحياة ،وأن يعيش الناس القيم الإسلامية ثم يطبقونها على أنفسهم أفرادا وجماعات ولا يكفي أن ينحازوا لواحد منهم.

لقــد أنشأ المسلمون الحضارة الإسلامية الرائعة التي نعمت بها البشرية قرونا طويلة ، ولعل مــن الإنصــاف أن نقول: إن البشرية لازالت تنعم بعلومها واكتشافاتها وبحوثها كما يعترف الغــرب نفسه بذلك ، وقد فعل المسلمون ذلك قياما بوظيفتهم في هذه الحياة وجعلوا /بذلك/ أمــتهم في مكــان الــريادة للأمــم كلها ، فكانت بذلك خير أمة أخرجت للناس ، وكانت حضــارتها خــير حضــارة عرفها التاريخ بالنسبة للإنسانية كلها ، وذلك لأنها حققت كل الجوانب للفرد والمجتمع على السواء .

والإســلام دين عالمي في نظرته للفرد وللجماعات وفي علاجه للمشكلات ، ولا يرضى بإقامة الحواجــز التي نشأت في العصور المختلفة ، وقد نبه إلى ذلك "برنارد شو" الذي قال عن النبي ﷺ: (لقــد درســت حياة هذا الرجل العجيب/ يقصد محمدا النبي ﷺ/ وفي رأيي أنه يجب أن يســمى منقذ البشرية دون أن يكون ذلك عداء للمسيح ، وإني لا أعتقد أنه لو أتيح لرجل مثله أن يتولى منفردا حكم هذا العالم الحديث لحالفه التوفيق في حل جميع مشاكلهم بأسلوب يؤدي إلى السلام والسعادة).

ويلاحــظ أن هــناك صــلة وثيقة بين نوع الحضارة التي يعيشها المجتمع ، وبين الصحة النفسية لأفراد هذا المجتمع فالعقل السليم في الجسم السليم في المجتمع السليم.

والحضــارة الغربــية الحديثة خلقت للإنسان مشكلات نفسية واجتماعية انشغل بحلها ، وفي عــام ١٩٤٨ انعقــد في طهــران المؤتمر الدولي لحقوق الإنسان ، وأكد على ألا تشغلنا الصــفات المادية للحضارة الغربية عما خلفته لنا من متاعب نفسية وجسمية ذلك لأن الحضارة الغربــية أحلت التنافس محل التعاون ، والانفراد محل التراحم ، واستثارت رغبات الإنسان و لم

تستطع تحقيقها.

والنتـــيجة كمـــا يقـــول علماء النفس: أحبطت الرغبات ، وأعاقت الحاجات ، وأثارت انفعـــال الإنسان وبخاصة انفعال العدوان والغضب ، والاحتكاك بين الناس ، والتنافس المسعور، والجنس ، واستقبلت العلم ، واستدبرت الدين.

والعـــلم وحـــده لا يكـــون غذاء للإنسان ، لأن الإنسان مكون من عقل وقلب وروح ، والقلق قاسم مشترك في الأسباب التي تؤدي إلى الأمراض النفسية.

وقـــد أصبح إنسان الحضارة الغربية في العصر الحديث يعمل دون اتصال حقيقي بالعمل ، وفي ذلـــك فصـــل بين ما يستهلكه من أشياء وما تحس به النفوس فعلاً بالحاجة إليه ، ويلمس ذلك في الاستهلاك وفي استخدام أوقات الفراغ.

فالإنســـان الغربي الحديث في فراغه /كما هو في عمله/ يقف موقف المستهلك السلبي ، إنه يســـتهلك المـــباريات الرياضية والصور المتحركة والصحف والمناظر الطبيعية بنفس الطريقة التي يســـتهلك بهـــا السلع التي يشتريها ، يشاهدها أو يستمع إليها لا لأنها تسد نقصا يشعر به في داخلـــه ولكـــن للتظاهر والمباهات ، ولأنها حديث الناس خاصتهم وعامتهم ، فهو يتمشى مع روح العصـــر الذي يعيش فيه لا مع نفسه وطبيعتها ، وهو ليس حراً في الاستمتاع بفراغه إنما يـــتحكم في اســـتهلاك وقت فراغه السلع التي يشتريها مثل غيره بتوجيه ذوقه ، فباتت أسباب اللهو صناعة ترغم العميل على شراء اللهو كما يرغم على شراء ردائه وحذائه.

والإســـلام هـــو خير ترياق لذلك فهو يرضي حاجة الإنسان إلى الأمن والأمان والراحة النفســـية والاطمئنان الكامل على أساس صلته بخالقه ، وإحساسه بأن له وظيفة هامة في الحياة يؤديها لينال الأجر والثواب من الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة على السواء.

ووسائل الإعلام فرضت على الناس ما يأكلون وما يشربون وما يلبسون وما يقرؤون وما يشاهدون وهذا تضييق للحرية ، وحركة الرفض عند الشباب انحرفت إلى الهروب عن الواقع.

والحضـــارة الغربـــية حين قسمت الإنسان جعلته تائها ضائعا تنتاب حياته نواحي التشاؤم

والقلــق وكــل أمراض العصر ، على الرغم من التقدم الهائل في العلوم التطبيقية لأن الانسجام بــين كل الجوانب الإنسانية غير موجود ، بل إنه اقتصر على رد الفعل الذي تولد عن عدوانها للكنيســة ونظــرت إلى الوجود بعين واحدة ، كما يقول الفيلسوف والطبيب الألماني "شفيرز" في كتابه (فلسفة الحضارة الغربية الخاصة المروعة في حضارتنا).

وعمل الإسلام في الحياة هو التوفيق التام بين الوجهة الروحية والوجهة المادية في الحياة الإنسانية

وهكــذا يســتطيع المســلم أن يعيش في ظل علم الإنسان في القرآن الكريم آمنا مطمئنا شاعراً بالأمن والراحة النفسية والسعادة وبذلك يستطيع أن يحقق وظيفته في هذه الحياة وتكون الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله تعالى.

وبذلــك تسعد الأمة الإسلامية ، ويسعد العالم كله ، ويفوز الجميع برضوان الله في الدنيا والآخرة ، ولمثل هذا فليعمل العاملون.

الرجولـــة

الـــرجولة: تعـــبير يقصـــد به كمال الصفات المميزة للرجل ، وهي جامعة لكل صفات الشـــرف مهمـــا اختلفـــت وظـــيفة الإنسان، وتظهر الرجولة في العزيمة القوية ، والصبر على الشـــدائد ، ومواجهـــة المواقـــف الصعبة بقوة ، والعطاء الدائم للأسرة والمجتمع ، والغيرة على العرض ، إلى جانب العمل الجاد ، ونزاهة النفس عن الهوى .

وقـــد ربى النبي ﷺ أصحابه تربية إسلامية كاملة جعلتهم يتصفون بصفات الرجولة الكاملة ، الـــتي جعلتهم يؤدون وظيفتهم في هذه الحياة عن طريق الدعوة إلى الله على بصيرة ، والجهاد في سبيل الله ، وعمارة الأرض طبقا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى .

وبذلـــك اســـتطاعوا أن يحققـــوا خلافة الله في الأرض التي وعد الله تعالى بها الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وبذلك كانوا خير أمة أخرجت للناس.

رجولة العرب قبل الإسلام

العـــرب في الجاهلية كانت فيهم بعض صفات الرجولة التي تظهر في الغيرة على العرض ، وفي الكـــرم ، وفي إغاثة الملهوف ، وفي الأمانة ، وفي الأنفة وعزة النفس ، وفي نصرة الضعيف، وغير ذلك.

الأنفة وعزة النفس:

يقول عمرو بي كلثوم :

إذا ما الملك سام الناس خسفا ... أبينـــا أن نقر الـــذل فينـــا

لنا الدنيـــا ومن أمسى عليها ... ونبطش حين نبطش قادرينا

ملأنـــا البر حتى ضاق عنـــا	ونحن البحر نملـــؤه سفينـــا
إذا بلغ الرضيع لنـــا فطامـــا	تخر لـــه الجبابر ساجدينـــا

وكما تظهر في قول امرئ القيس:

ولو أنني أسعى لأدنى معيشة	كفاني ولم أطلب قليلا من المال
ولكنمـــا أسعى لمجـــد مؤثل	وقـــد يدرك المجد المؤثل أمثالي

وفي قول عنترة بن شداد:

لا تسقني ماء الحياة بذلـــة	بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلـــة كجهنم	وجهنم بالـــعز أطيب موئـــل

وفي قوله:

إنـــا وإن أحسابنـــا كرمت	لسنـــا على الأحســـاب نتكل
نبني كمـــا كانت أوائلنـــا	تبني ونفعـــل مثل مـــا فعلـــوا

وحـــين سمع النبي ﷺ هذه الأبيات قال: « **ما وصف لي شاب أعرابي وأحببت أن أراه إلا عنترة** ».

الأمانـــة:

الأمانة من صفات العرب في الجاهلية ، وتظهر في قول عنترة:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي	حتى يواري جارتي مأواهـــا
إني امرؤ سمح الخليقـــة ماجـــد	لا أتبع النفس اللحوح هواها

وفي قوله:

لعمري ما أهويت كفي لريبة	ولا حملتني نحو فاحشة رجلي

الجود والكرم:

الجود والكرم من مظاهر رجولة العرب في الجاهلية ، وفي ذلك قول عنترة:

أجود بالنفس إن ضن البخيل بها	والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ويقول زهير بن أبي سلمى:

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم

ويقول شاعر جاهلي:

وإن الــذي بيــني وبين بني أبي ... وبيــن بنــي عمي لمختلف جــدا

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجــدي بنيت لهم مجــدا

وإن ضيعوا عيني حفظت عيونهم ... وإن هم هووا غيي هويت لهم رشدا

ولا أحمل الحقد القديم عليهــم ... وليس كبير القوم من يحمــل الحقدا

لهم جل مالي إن تتابع لي غنــى ... وإن قل مالي لــم أكلفهــم رفــدا

وإني لعبــد الضيف ما دام نازلا ... وما شيمة لي غيرها تشبــه الحمــدا

الحلم:

والحلم من صفات الرجولة عند العرب، ويظهر في قول عنترة بن شداد:

إذا أدمت قوارصكم فؤادي ... صبرت على أذاكم وانطويت

وجئت إليكم طلــق المحيــا ... كأني ما ســمعت ولا رأيت

وقــد سُــئِل الأحــنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم يا أحنف ؟ قال: تعلمته من قيس بن عاصــم المنقري ، فقد كنت جالسا يوما في مجلسه وهو في مكان الصدارة من قومه مجتمعا بهم يطــارحهم الحديث ويبادلهم الكلام ، فما شعر إلا وقد قدم أمامه رجل مكتوف وآخر مقتول وقــيل له: هذا ابن أخيك قد قتل ابنك ، فالتفت إلى ابن أخيه وقال: يا ابن أخي بئس ما فعلت أثمــت بــربك وقطعت رحمك ورميت نفسك بسهمك ، ثم قال لابن له: يا بني قم فَوَارِ أخاك وحل أكتاف ابن عمك وسق لأمك دية أخيك مائة من الإبل دية ابنها فإنها غريبة عنا.

الشجاعة:

الشــجاعة من صفات الرجولة عند العرب ، وتظهر في مثل موقف عمر بن الخطاب يوم أســلم ، فقد ذهب إلى أبي جهل فضرب عليه بابه ، فخرج أبو جهل وقال مرحبا وأهلا بابن

الخطـــاب ما جاء بك ؟ قال: جئت لأخبرك أني آمنت بالله وبرسالة محمد وصدقت ما جاء به ، قـــال: فضرب الباب في وجهي وقال: بئس ما جئت به ، وعندما عزم على الهجرة تقلد سيفه ، وتنكـــب قوســـه ، وأخـــذ في يده أسهما ، وطاف بالبيت سبعا ثم صلى ، ثم أقبل على قريش وقـــال: شاهدت الوجوه لا يرغم الله إلا هذه المعاطس ، من أراد أن تثكله أمه أو يأتم ولده أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي ، فما ذهب إليه أحد.

نصرة الضعيف:

نصـــرة الضعيف من صفات الرجولة عند العرب ومثال ذلك موقف عثمان بن أبي طلحة من أم سلمة حين رآها قد أعدت بعيرها فقال: إلى أين يا ابنة زاد الركب؟ قالت: أريد زوجي في المديـــنة، قال: أومعك أحد؟ قالت لا والله إلا الله وبني هذا، قال: والله لا أتركك أبدا حتى تدخـــلي المديـــنة، ثم أخذ بخطام بعيرها وانطلق يهوي بها، قالت: فوالله ما صحبت رجلا من العـــرب قط أكرم منه ولا أشرف، كان إذا بلغ منزلا من المنازل ينيخ بعيري ثم يتأخر عني حتى إذا نزلـــت عن ظهره واستويت على الأرض دنا إليه وحط عنه رحله واقتاده إلى شجرة وقيده بهـــا، ثم ينحي عني إلى شجرة أخرى فيضطجع في ظلها، فإذا جاء المرواح قام إلى بعيري فأعده وقدمـــه إلي ثم يتأخر عني ويقول: اركبي ، فإذا ركبت واستويت على البعير أتى فأخذ بخطامه وقـــاده ومـــازال يصـــنع مثل ذلك كل يوم حتى بلغنا المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف قال: زوجك في هذه القرية فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعا إلى مكة.

وتظهـــر رجولـــة العرب أيضا في موقف المطعم بن عدي بعد عودة النبي ﷺ من الطائف ومعـــه زيد بن حارثة ، وحين اقترب من مكة أرسل إلى المطعم بن عدي يطلب منه أن يدخل مكـــة في جواره ، فرحب المطعم بذلك ، وتوجه النبي ﷺ إلى الكعبة ، فطاف بها ثم ذهب إلى بيته دون أن يناله أحد بسوء.

ومـــن ذلك أيضا موقف العباس بن عبد المطلب في بيعة العقبة الثانية ، فقد حضر مع النبي ﷺ ليســـتوثق له مـــن موقف الأنصار ، وقال لهم: يا معشر الخزرج إن محمدا منا حيث علمتم

وقــد منعناه من قومنا ممن رأيهم مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وإنه قد أبى إلا الانحــياز إلــيكم واللحاق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه منه ممــن خالفــه فأنتم وما تحملتم من ذلك فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده ، قالوا: قد سمعنا ما قلــت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فتكلم رسول الله ﷺ ودعا إلى الله ورغّــب في الإسلام ، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ، فأخذ الــبراء بن معرور بيده ثم قال: والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع به أزرنا فبايعنا يا رسول الله فــنحن والله أبــناء الحــروب وأهــل الحرب ورثناها كابرا عن كابر ، فقال أبو الهيثم بن النــبهان: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا ونحن قاطعوها /يعني اليهود/ فهل عسيت إن نحــن فعلــنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسم النبي ﷺ ثم قال: بل الدم الــدم والهــدم الهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم ، فقال جابر: يا رســول الله عــلام نــبايعك ؟ قال: على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى أن تقوموا في الله ولا تأخذكم في الله لومــة لائم وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة ، قال جابر: نعم يا رسول الله - رواه أحمد.

الوفاء بالوعد:

مــن مظاهــر الوفاء بالوعد في الجاهلية موقف الشاعر العربي بن الحطيم الذي عرض النبي ﷺ علــيه الإســلام وقــرأ عليه آيات من القرآن فاستمع الشاعر إلى فصاحة القرآن وبلاغته اســتماع المثقف ، ولكنه طلب من النبي ﷺ إمهاله إلى العام المقبل لينظر أمره ثم يوافيه بما استقر علــيه رأيــه ، وكان النبي ﷺ يعلم أن زوج الشاعر حواء بنت يزيد بن سنان قد أسلمت بغير عــلم زوجهــا فأوصاه النبي بها خيرا وطلب منه عدم مساسها لأنها مسلمة وهو مشرك ، فقال قــيس مجيــبا: نعــم وكرامة ، واستمر قيس وفيا بوعده حتى لقي ربه ومات على شركه قبل الهجــرة ، ولمــا هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وسأل عن سيرته فأخبر أنه لم يقرب زوجته و لم ينلها

بســـوء ، فقال النبي ﷺ في إكبار لرجولته وهو يتصور صورته الجميلة وأبرز ما فيها دعج عينيه: (أي اتساعها) وفي الأديعج .

العصبية القبلية:

وكانـــت العصـــبية القبلية من مظاهر الرجولة عندهم وكان أساسها: انصر أخاك ظالما أو مظلوما بمفهوم الجاهلية ، وقد مكثت الحرب بين بكر وبين تغلب ابني وائل أربعين سنة ، ذلك لأن كليـــبا – رئـــيس معد – رمى ضرع ناقة البسوس بنت منقذ فاختلط دمها بلبنها ، وقتل جساس بن مرة كليبا ، واشتعلت الحرب طوال هذه المدة بين بكر وتغلب.

وكذلك الحرب بين داحس والغبراء التي كان سببها أن داحسا /فرس قيس بن زهر/ كان ســـابقا في رهان بين قيس بن زاهر وحذيفة بن بدر ، فعارضه أسدي بإيعاز من حذيفة ، فلطم وجهـــه وشقه ففاتته الخيل ، وتلا ذلك قتل ثم أخذ بالثأر ونصر كل قبيلة لأبنائها وقتل في ذلك ألـــوف مـــن الجانـــبين ، وأصبح هذا مقياس الرجولة إلى درجة أن شاعرا هجا قومه لأنهم لم ينصروه و لم يقفوا معه ضد أعدائه واستمسكوا بالمثل العليا فقال هاجيا لهم:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي ... بنو اللقيطـــة من ذهل بن شيبانـــا
إذاً لقـــام بنصري معشر خشن ... عند الحفيظـــة إن ذو لوثـــة بانـــا
قوم إذا الشر أبدى ناجزيه لهـــم ... طاروا إليـــه زرافـــات ووحدانـــا
لا يسألون أخاهم حين يندبهـــم ... في النـــائبات على ما قال برهانـــا
لكن قومي وإن كانوا ذوى عدد ... ليسوا من الشر من شيء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ... ومن إســـاءة أهل السوء إحسانـــا
كـــأن ربك لـــم يخلق لخشيته ... سواهم من جميع النـــاس إنسانـــا

الغيرة على العرض:

وكـــان مـــن مظاهر الرجولة عند العرب في الجاهلية الغيرة على العرض وبلغ بهم ذلك إلى حـــد وأد البـــنات منذ صغرهن مخافة لحوق العار بهم حتى قال صعصعة بن ناجية كما جاء في

كـتاب (بلـوغ الإرب في أحـوال العـرب) للألوسي: (جاء الإسلام وقد فديت ثلاثمائة مـوؤودة ، تـرى كم موؤودة لم تفد ؟ وكانوا يسارعون بقتل أية امرأة يسمعون عنها أنها لم تحافظ على عرضها ، حتى ولو كانت الإشاعة غير صحيحة.

الرجولة في الإسلام

جـاء الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور حتى يمكنهم أن يؤدوا وظيفتهم في هذه الحـياة باعتبارهم خلفاء الله في الأرض يعمرونها طبقا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى ، وقد حدد الإسـلام مقـياس الـرجولة للمسلمين ، فدعوا إلى الله على بصيرة ، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم في رجولة كاملة.

ومـن مظاهر الرجولة في الإسلام الشهامة ، والأمانة ، وتحمل المسؤولية ، والوفاء بالعهد ، والنصـيحة الخالصـة لله ، والاعتراف بالخطأ ، والطاعة عند العدل ، ومثالية القيادة ، والثبات أمـام المطامع والشهوات ، والاستهانة بزخارف الحياة الدنيا ، والعفو عند المقدرة ، والبعد عن الحقد والحسد ، والنجدة.

الرجولة في القرآن الكريم:

وردت كلمة الرجولة في القرآن الكريم في أكثر من عشرين آية ، وكل آية تظهر صفة من صفات الرجولة التي يحبها الإسلام ويدعو إليها أبناؤه ، ومن ذلك:

الشهامـة:

قال الله تعالى: ﴿ **وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّـبِعُوا مَـنْ لاَ يَسْـأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ (يس~: ٢٠-٢١) ، لقد سمع الرجل الدعوة فاسـتجاب لهـا و لم يطـق السكوت على ذلك الباطل وسعى بالحق الذي استقر في ضميره ، سـعى بـه إلى قومه وهم يُكَذِّبون ويجحدون ويتوعدون ويهددون ، لقد قام بواجبه في دعوة

قومه وفي كفهم عن الغي ، وفي مقاومة اعتدائهم الأثيم الذي يوشك أن يصبوه على المرسلين، وبين لهم أن الرسول لا يطلب منهم أجرا ولا يبغي نفعا دنيويا.

وفي ســـورة غافر يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُــلاً أَنْ يَقُــولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ ومعه حجته ﴿ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ثم يعرض أسوأ الفروض فيقول ﴿ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ ثم يهددهـــم من طرف خفي فيقول ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ ثم يخوفهم بعقاب الله فيقول ﴿ يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَـــا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (غافر : ٢٨، ٢٩).

الأمانة وتحمل المسؤولية:

ويـــتحدث القرآن الكريم عن رسل الله تعالى الذين بعثهم ليخرجوا الناس من الظلمات إلى الـــنور ، فكـــانوا أمناء في رسالاتهم وتحملوا المسؤولية كاملة ، فقال لنبيه محمد ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ (يوسف:١٠٩)، فيبين رجولة من يتحمل مسؤولية الإيمان، ويقول الله تعالى في سورة (النور:٣٦،٣٧) ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَــنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ فهم يلتزمون بالإسلام التزاما كاملا تحت أي ظرف من الظروف.

الوفاء بالعهد:

مـــن صفات الرجولة في الإسلام الوفاء بالعهد ، يقول الله تعالى: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَـــدَقُوا مَـــا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ (الأحزاب:٢٣).

وروى البخاري ومسلم عن أنس ﷺ قال: قال عمي أنس بن النضر أنه لم يشهد بدرا مع رسـول الله ﷺ ، وقال: لقد غبت عنه ، أما والله لئن أراني الله مشهدا مع رسول الله فيما بعد ليريـن الله مـا أصنعه ، قال: فشهد مع رسول الله يوم أحد من العام المقبل فاستقبله سعد بن مـالك ، فقـال: يـا أبا عمرو إلى أين ؟ قال: واه (وهي كلمة تفيد الإعجاب بالشيء) إني لأجـد ريح الجنة من دون أحد ، فقاتل حتى قتل فوجدوا في جسده بضعا وثمانين ما بين ضربة سيف وطعنة رمح وما عرفته إلا أخته ببنانه.

التضحية في سبيل العقيدة:

أول من جهر بالإسلام **عبد الله بن مسعود:**

روى ابـن إسـحاق: كـان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسـعود ، قال: اجتمع يوما أصحاب رسول الله فقالوا والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط فمن رجل يسمعهم ، فقال عبد الله بن مسعود: أنا ، فقالوا: إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجـلا له عشـيرة من القوم يمنعونه من القوم إذا أرادوه ، فقال لهم: دعوني فإن الله سيمنعني ، فغـدا ابـن مسـعود حـتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قرأ **﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾** رافعا صوته **﴿ الرحمن علم القرآن ﴾** ثم استقبل القبلة يقرؤها ، قـال: فـتأملوا فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد ؟ قال: ثم قالوا: إنه ليتلوا بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه فجعلوا يضربونه في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ فيها ما شاء الله أن يبلغ ثم انصـرف إلى أصـحابه وقد أبصروا ما في وجهه فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك ، فقال: ما كـان أعداء الله أهون عليَّ منهم الآن ولئن شئتم لأفعلن مثل ما فعلت غدا ، قالوا : لا حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون.

بـلال:

مـولى أمـية بـن خلف الجمحي ، كان مولاه يضع في عنقه حبلا ثم يسلمه إلى الصبيان يطوفـون به في جبال مكة حتى كان يظهر أثر الحبل في عنقه ، وكان أمية يشده شدا ثم يضربه

بالعصا ، وكان يلجئه إلى الجلوس في حر الشمس ، كما كان يكرهه على الجوع ، وأشد من ذلك كله أنه كان يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فيقول وهو على هذا الوضع: أحد أحد ، حتى مرَّ به أبو بكر يوما وهم يفعلون به ذلك فاشتراه بسبع أواق من الفضة ثم أعتقه.

عمار بن ياسر:

كان عمار مولى بني مخزوم ، أسلم هو وأمه وأبوه ، فكان المشركون – وعلى رأسهم أبو جهل – يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء فيعذبونهم بحرها ، ومر بهم النبي ﷺ وهم يعذبونهم ، فقال: صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة ، فمات أبو ياسر من العذاب ، وطعن أبو جهل سمية في نحرها وقبلها بحربة فماتت ، وكانت أول شهيدة في الإسلام.

أبو دجانة:

قال النبي ﷺ في غزوة أحد: من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقال أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله ؟ قال: أن تضرب به حتى ينحني ، قال: أنا آخذه يا رسول الله ، وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب ، وكانت له عصابة حمراء إذا اعتصب بها علم أنه سيقاتل حتى الموت ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله اعتصبها وخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ... ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكبول ... أضرب بسيف الله والرسول

وكانت الجولة الأولى للمسلمين أول النهار فانهزم أعداء الله وولوا مدبرين ، وكان الأنصار يقولون: هذه عصابة الموت وجعل يتمايل بين الصفوف ، فقال النبي ﷺ : هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلا في مثل هذه المواقف ، وجعل أبو دجانة لا يلقى أحدا من المشركين إلا قتله ، وكان في المشركين رجل لا يدع في المسلمين جريحا إلا أجهز عليه ، فجعل كل واحد منا يدنو من صاحبه ، فدعا الله أن يجمع بينهما فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا

دجانـــة فاتقـــاه بدرقته وضرب أبو دجانة المشرك فقتله ، ثم هجم أبو دجانة على إنسان أمامه و لم يكـــن يعـــرف أرجـــل هو أم امراة ، وحينما ولولت عرف أنها هند زوجة أبي سفيان فلم يقتـــلها وقـــال: أكرمت سيف رسول الله أن أضرب به امرأة ، ثم تترس حول النبي ﷺ يحميه بجسده حتى امتلأ جسده بالنبال.

غسيل الملائكة:

سمـــع حـــنظلة بن أبي عامر مناديا ينادي حي على الجهاد وكان ذلك ليلة عرسه فأمسك ســـيفه وودع زوجته وانطلق كالسهم يقاتل في سبيل الله حتى رزق الشهادة ، وشاهد الصحابة حـــنظلة مغســـلا بالماء وهو في صحراء لا يوجد بها قطرة ماء فقال ﷺ سلوا زوجته عن حاله ، فقالـــت : خرج حنظلة للجهاد وهو جنب ، فقال النبي: أبشروا فقد رأيت حنظلة بن أبي عامر على سرير بين السماء والأرض تغسله الملائكة.

سعد بن الربيع:

قـــال زيد بن ثابت: بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد أطلب سعد بن الربيع وقال لي: إن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له: يقول لك رسول الله كيف تجدك ؟ فجعلت أطوي بين القتلى فأتيته وهـــو بآخر رمق وفيه سبعون ضربة ما بين طعنة رمح وضربة سيف ، فقلت يا سعد إن رسول الله يقـــرأ عليك السلام ويقول: أخبرني كيف أجدك ؟ فقال: على رسول الله السلام قل له: يا رســـول الله أجـــد ريح الجنة ، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص أحد إلى رسول الله وفيكم عيد تطرف ، وفاضت روحه من وقته.

عمير بن الحمام:

حـــين خـــرج النبي ﷺ إلى غزوة بدر أخذ يحض المسلمين على القتال قائلا: والذي نفس محمـــد بـــيده لا يقاتـــلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة ، وكـــان عمير بن الحمام يحمل بين يديه تمرات يأكلها ، وعندما سمع هذا الكلام ألقاها من يده قائل: بخٍ بخ ، ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن آكل هذه التمرات وأنشد يقول:

ركضا إلى الله بغيـــر زاد إلا التـــقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

وقاتل حتى استشهد في سبيل الله.

رجل رث الهيئة:

عـــن أبي بكـــر بن أبي موسى الأشعري قال (سمعت أبي يقول قال رسول الله ﷺ : « **إن أبـــواب الجـــنة تحت ظلال السيوف** » فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى أأنت سمعت رســـول الله يقـــول هذا ، قال: نعم ، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو فضربه حتى قتل) رواه مسلم.

رجل أعرابي:

قـــال ســـداد بـــن الهاد: (جاء رجل من الأعراب إلى النبي وآمن به واتبعه فقال: أهاجر معـــك ، فأوصى به بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله شيئا فقسمه وقسم للأعـــرابي ، فأعطى أصحابه ما قسم لهم وكان يرعى ظهورهم ، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هـــذا ؟ قـــالوا قسم قسمه لك رسول الله فجاء به إلى النبي فقال: ما هذا يا رسول الله ؟ قال: قســـم قسمته لك ، قال ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمي ههنا — وأشار إلى حلقـــه — بسهم فأموت فأدخل الجنة ، فقال: إن تصدق الله يصدقك ، ثم نهض إلى قتال العدو وأتـــى بـــه إلى رسول الله وهو مقتول ، فقال: أهو هو ؟ قالوا: نعم ، قال: صدق الله فصدقه) زاد المعاد.

عمرو بن الجموح:

كـــان أعـــرج شديد العرج وكان له أربعة بنين يغزون مع رسول الله إذا غزا ، فلما توجه إلى أحـــد أراد أن يـــتوجه معهم، فقال له بنوه: إن الله قد جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفـــيك وقـــد وضـــع الله عنك الجهاد ، فأتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ وقال: يا

رســـول الله إن بـــني يمنعونني أن أخرج معك والله إني لأرجو أن أستشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة ، فقال النبي ﷺ : أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد وقال لبنيه ما عليكم أن تَدَعُوْه لعل الله أن يـــرزقه الشـــهادة ، فخرج مع رسول الله واستشهد يوم أحد ، وفي أثناء المعركة شوهد وهـــو يثب على رجله الصحيحة ويقاتل وهو يقول: إني لمشتاق إلى الجنة وقاتل حتى استشهد ، وقـــال الـــنبي ﷺ : « ما من مسلم يقتل في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة يسيل دما اللون لون الزعفـــران والريح ريح المسك ، ثم قال: ادفنوا عمرو بن الجموح مع عبد الله بن عمر فقد كانا متحابين معا متضامنين في الدنيا ».

خبيب بن عدي:

ســـأله المشركون حين أرادوا قتله: ألك حاجة قبل أن تموت ؟ فطلب منهم أن يمهلوه حتى يصـــلي ركعتين ، وبعد الصلاة قال: والله لولا أني خشيت أن تظنوا أني جزع من القتل لأطلت الصـــلاة، فلما رفعوه ليصلبوه سألوه: أتحب أن محمدا مكانك وأنت بين أهلك ؟ قال: والله ما أحـــب أن يصاب محمد بشوكة وأنا بين أهلي ، ثم قال: اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا وأنشد يقول:

ولست أبالي حين أُقْتَل مسلما	على أي جنب كان في الله مصرعي
ولست بمُبْـــد للعـــدو تخشعا	ولا جـــزعا إني إلى الله مرجعـــي

الاعتراف بالخطأ:

عزيـــز عـــلى نفس الإنسان أن يَعترف بالخطأ العادي فما بالنا بالخطأ الكبير الذي يذهب بحياة المعترف بخطئه ، ولكن رجولة المسلم تجعله لا يهتم إلا بإرضاء الله تعالى.

جـــاء معـــاذ بن مالك الأسلمي إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله إني ظلمت نفسي وزنيـــت فطهرني بالحد ، فرده النبي ثلاث مرات فلما كانت الرابعة حفر له حفرة ثم أمر برجمه فرجم.

أصابت امرأة وأخطأ عمر:

قـــال عمـــر بـــن الخطاب وهو على المنبر: أيها المسلمون اسمعوا وأطيعوا ، فقال سلمان الفارســـي: لا سمـــع الســـيوم لك ولا طاعة حتى تبين لنا هذا البرد الذي ائتزرت به من أين لك هـــذا ؟ وأنـــت رجل طوال ، قال عمر: يا عبد الله بن عمر (ابنه) ناشدتك الله هذا البرد الذي ائـــتزرت بـــه أهـــو بردك ؟ قال: نعم ، ثم التفت إلى المسلمين يقول: إن لي بردا واحدا كبقية المســـلمين ولكـــنه رجـــل طوال لا يكفيه برد واحد فتركت له بردي ، قال سلمان: أما الآن فنسمع ونطيع.

وحـــين أراد عمـــر بـــن الخطاب أن يحدد المهور ، قالت له امرأة وكيف تقول ذلك والله ســـبحنه وتعالى يقول: ﴿ **وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَـــأْخُذُوا مِـــنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا** ﴾ (النساء: ٢٠) ، فقال عمر وهو على المنبر (أصابت امرأة وأخطأ عمر).

مثالية القيادة:

في عـــام المجاعـــة رؤي أمير المؤمنين أسود اللون في هذه النازلة التي نزلت على المسلمين، فقـــيل ممـــا هـــذا ؟ قالوا : إنه يأكل السمن واللبن فلما افتقر الناس أكل الزيت فغير لونه وقد حلـــف لا يأكل لحما ولا سمنا حتى يأكله الناس ، وزاره عيينة بن مرقد - كما يروي البلازري في فـــتوح البلدان - فرآه يأكل طعاما خشنا لا يستطاب ، فقال له: ألا تأكل في طعامك سمنا ؟ فقال عمر: بئس الخليفة أنا إذا أكلت طعاما جيدا وتركت الناس يأكلون طعاما خشنا.

وأبو عبيدة بن الجراح:

كـــان يقـــود الجيش في فارس فجيء له بطعام شهي خاص به فرده وقال: بئس الرجل أبو عبـــيدة إذا خص نفسه بشيء دون من يقاتلون معه والله إن أبا عبيدة لا يأكل من الطعام إلا ما أكله المسلمون.

الثبات أمام المطامع والشهوات:

من مظاهر الرجولة في الإسلام أن المسلم يملك نفسه أمام المطامع والشهوات الجارفة، وفي الخلوة والوحدة حيث لا يراه أحد وفي سلطانه ونفوذه حيث لا يخاف أحدا.

حدثنا الطبري قال: لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض ، أقبل رجل بحق معه فدفعه إلى صـــاحب الأقباض ، فقال والذين معه: ما رأينا مثل هذا قط ما يعدله عندنا ولا مايقاربه ، فقـــالوا: هل أخذت منه شيئا ؟ فقال: أما والله لولا االله ما جئتكم به ، فعرفوا أن للرجل شأنا ، فقـــالوا: أيـــن أنت ؟ فقال: لا والله لا أخبركم فتحمدوني ولا غيركم فتقرظوني ، ولكني أحمد الله وأرضـــى بـــثوابه ، فأتـــبعوه رجلا حتى أتى إلى أصحابه فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد القيس.

الاستهانة بالزخارف والمظاهر الجوفاء:

أرســـل ســـعد بـــن أبي وقاص قبل معركة القادسية ربعي بن عامر رسولا إلى رستم قائد الجـــيوش الفارسية وآمرهم ، فدخلوا عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابي الحرير ، وأظهر اليواقيـــت واللآلئ الثمينة العظيمة ، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة ، وقد جلس على سرير من ذهب ، ودخل ربعي بثياب صفيقة وترس ودابة صغيرة و لم يزل راكبها حتى داس بها عـــلى طـــرف البساط ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد وأقبل عليه بسلاحه ودرعه وبيضته عـــلى رأســـه ، فقالوا له: ضع سلاحك ، فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركـــتموني هكـــذا وإلا رجعـــت ، فقال رستم: أقبل ، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخـــرق عامتها ، فقالوا له ما جاء بكم ؟ فقال: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عـــبادة الله ، ومـــن ضـــيق الدنـــيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

سرعة الانقياد لأوامر الله تعالى:

عـن أبي بـريدة عن أبيه قال: بينما نحن قعود لنا ونحن نشرب الخمر ، إذ قمت حتى آتي رسـول الله فأسلم عليه ، وقد نزل تحريم الخمر ، **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾** (المائدة: ٩٠) ، فجئـت إلى أصحابي فقرأتها عليهم إلى قوله **﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾** ، قال: وبعض القوم شربته في يـده شرب بعضها وبعضها في الإناء ، قال: فألقوا ما بأيديهم في التراب وقالوا: انتهينا ربنا انتهينا ربنا.

الغيـرة:

روى الإمـام أحمـد بإسناده عن أبي عباس قال: لما نزلت الآية الكريمة **﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾** (النور:٤) ، قال سعد بن عبادة وهو سيد الأنصار: أهكذا أنزلت يا رسول الله ؟ فقال الرسول: يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم ؟ فقالوا: يا رسول الله لا تـلمه فإنه رجل غيور ، والله ما تزوج امرأة قط إلا بكرا وما طلق امرأة قط فاجترأ رجل مـنا أن يتزوجها من شدة غيرته ، قال سعد: والله يا رسول الله إني لأعلم أنها حق وأنها من الله تعـالى ، ولكـني تعجبـت أني لو وجدت لكاعا قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحـركه حـتى آتي بأربعة شهداء ، والله إني لا آتي بهم حتى يكون قد قضى حاجته قال: فما لبـثوا إلا قليلا حتى جاء هلال بن أمية من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلا فرأى بعينه وسمع بأذنـيه فـلم يهـيجه حتى أصبح فغدا على رسول الله فقال: يا رسول الله إني جئت إلى أهلي عشـاء فوجـدت عندها رجلا فرأيت بعيني وسمعت بأذني ، فكره رسول الله ما جاء به واشتد علـيْه ، واجتمعت الأنصار عليه وقالوا: قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة إلا أن يضرب رسول الله هـلال بـن أمية ويبطل شهادته بين الناس ، فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله منها

مخــرجا ، وقـــال هلال: يا رسول الله فإني قد رأيت ما اشتد عليك مما جئت به والله يعلم إني لصـــادق فوالله إن رسول الله يريد يأمر بضربه إذ أنزل الله على رسوله الوحي ، عرفوا ذلك من وجهــه فأمســكوا حــتى فرغ الوحي فنزلت الآية: ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُـــهَدَاءُ إِلاَّ أَنْفُسُـــهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ...** ﴾ (الآيات: ٦-٩) ، قال هلال: قـــد كنـــت أرجـــو ذلك من ربي ، فقال ﷺ : أرسلوا إليها ، فجاءت فتلاها رسول الله عليها فذكرها وأخبرها أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا.

العفو عند المقدرة:

لقي رسول الله ما لقي من قريش طوال ثلاث عشرة عاما في مكة وطوال ثمانية أعوام بعد هجـــرته إلى المدينة عن طريق الحروب والمؤامرات ، ولكنه حين انتصر عليهم في فتح مكة قال لهـــم: مـــا تظـــنون أني فاعل بكم ؟ قالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وهكـــذا كان العفو عن المقدرة ، وقد كان في إمكانه أن يبيدهم جميعا ، ولكن العفو من أخـــلاق الـــرجولة في الإســـلام ، وقبل ذلك حينما حدث له ما حدث في مكة ، وذهب إلى الطـــائف على أمل أن يجد من يستجيب له فأذاقوه ألوانا من العذاب ، وحين جاء جبريل عليه الســـلام وقال له: إن الله أمرني أن أطيعك في قومك لما صنعوه معك إن أردت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت ، فقال الرسول ﷺ : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله.

إقراض الله تعالى:

عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت الآية الكريمة ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـــاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ** ﴾ (الحديد: ١١) ، قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله إن الله يـــريد منا القرض ؟ قال: نعم يا أبا الدحداح ، قال: أرني يدك يا رسول الله ، قال : فناوله يده،

، فقـــال: فإني قد أقرضت ربي حائطا (حديقة) ، وكان الحائط ستمائة نخلة وفيه أم الدحداح وعـــيالها ، قـــال: فجاء أبو الدحداح فنادى يا أم الدحداح ، قالت: لبيك ، قال: اخرجي فقد أقرضـــت ربي عـــز وجـــل الحـــائط ، فقالـــت له: ربح البيع يا أبا الدحداح ، وخرجت منه وأولادها.

التسامي عند الحقد والبغض:

في غـــزوة ذات السلاسل بعث رسول الله ﷺ أولا كتيبة تحت قيادة عمرو بن العاص ويقع هـــذا المكان في ضواحي الشام ، فلما قدم عمرو بن العاص يستفسر عن أحوال العدو ظهر له أن كتيبته صغيرة لا تكفي لجيش العدو الكبير ، فأرسل شخصا إلى رسول الله ليخبره أن جنود المســـلمين قلـــيلون وهم في مسيس الحاجة إلى مدد عسكري ، فبعث رسول الله كتيبة أخرى مؤلفـــة من مائتي شخص وعلى رأسها أبو عبيدة بن الجراح ، ولما التقت الكتيبتان وانضمتا في كتيـــبة واحدة أثير الخلاف حول من يكون الأمير ؟ فقال عمرو بن العاص إن الكتيبة الأخرى أتـــت لـــنجدة الكتيبة الأولى فأنا الذي أكون أميرا للجيش المؤلف من الكتيبتين ، وخالفه أبو عبـــيدة ورأى أنه يستحق الأمارة للجيش وإلا فيمكن أن يكون هناك أميران أمير للكتيبة الأولى وأمـــير للكتيبة الثانية ، ولما اشتد الخلاف قال أبو عبيدة: (تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد به إلى رســـول الله أن قـــال: إن قدمـــت على صاحبك فطاوع ولا تختلف إنك والله إن عصيتني لأطعتك).

وكـــان خالد بن الوليد شجاعا باسلا يتمتع بموهبة عسكرية نادرة ، قاد الأفواج الإسلامية الظافـــرة مـــنذ زمن رسول الله إلى خلافة أبي بكر ، ولكن عمر كان يكره بعض عاداته فأشار عـــلى أبي بكر أن يعزله عن الإمارة ، فلم يصنع أبو بكر ولكن بلغ من إصرار عمر إلى حد أنه لمـــا أصبح أميرا للمؤمنين عزله عن قيادة الجيش وجعله جنديا عاديا ، وكان خالد عندئذ يجاهد في المعمعـــة خـــلال فتح الشام فسلمه أبو عبيدة بن الجراح رسالة عمر بن الخطاب التي يأمره فـــيها بالتخـــلي عـــن القيادة ، ثم اجتمع عدد من رجال الجيش في خيمة وطلبوا منه أن يكون

القائد ، فأجابهم خالد: إني لا أقاتل في سبيل عمر ولكني أقاتل في سبيل الله ، وأصبح هذا شيئا عاديا بالنسبة له ، وهذا دليل على الرجولة الإسلامية عند خالد بن الوليد.

الرجولة بعد عهد الصحابة

لقد استمرت الرجولة بعد عهد الصحابة بمعناها الإسلامي الذي ربى النبي ﷺ عليها أصحابه ، استمرت فترات طويلة ثم بدأت تضعف أحيانا بسبب الترف الذي دخل في المجتمع الإسلامي ، ولكنها لم تختف بل كانت تظهر أحيانا وتضعف أحيانا.

ومن مظاهر الرجولة بعد عهد الصحابة:

ما يرويه التاريخ من أن إمبراطور (نوفيل) أغار على حدود الدولة الإسلامية ، وهجم على مدينة (زبطرة) ، وقبض الروم على امرأة مسلمة وكبلوها بالحديد ، فنادت وهي في الأسر (وامعتصماه) ، وترامت الأنباء إلى الخليفة المعتصم وكأنه يسمع بأذنه استغاثة المرأة عبر الأميال الكثيرة ، فقال: لبيك لبيك ، ونهض إلى سلاحه يدفع الخطر والعار ويصمم على أن يفتح (عمورية) مسقط رأس الإمبراطور ، ومضى بجيشه الهادر غير عابئ بكلام المنجمين الذين قالوا له: إنه سيهزم لو حارب الرومان ، وانقض على بلاد الروم الظالمين فسقطت حصونهم وقلاعهم ومدنهم تحت ضربات الجيش الإسلامي ، وقد شاهد هذه المعركة الحاسمة الشاعر أبو تمام فصورها أصدق تصوير في قصيدته الرائعة التي بدأها بقوله:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهن جلاء الشك والريب

والعلم في شهب الألواح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب

أبو محجن الثقفي:

كان أبو محجن الثقفي يشرب الخمر وكان يُجْلَد ، فلما لم يتب حكم عليه بالسجن

وأوثقـــوه ، فـــلما كان يوم القادسية فكأنه رأى أن المشركين قد أصابوا في المسلمين ، فأرسل إلى أم ولـــد سعد (امرأة سعد) أن أبا محجن يقول لك إن خليت سبيله وحملته على هذا الفرس ودفعت إليه سلاحا ليكونن أول من يرجع إليك إلا أن يقتل ، وأنشد يقول:

كفى حزنا أن تلتقي الخيل بالقنا وأترك مشدود على وثاقيـــا

إذا قمت عناني الحديد وغلقت مصاريع من دوني تضم المنايا

فحلّـــت عـــنه قيوده ، وحمل على فرس كان في الدار ، وأعطي سلاحا ثم خرج يركض حـــتى لحق بالقوم ، فأخذ يحمل على رجل فيقتله ويدق صلبه ، فنظر إليه سعد وجعل يتعجب ويقـــول: مـــن ذلـــك الفارس ؟ الركض ركض البلقاء ، والطعن طعن أبي محجن ، ولولا أنه بالحـــبس لقلـــت أنـــه هو ، فلم يلبثوا إلا قليلا حتى هزم الله الأعداء ، ورجع أبو محجن ورد السلاح ووضع رجليه في القيد كما كان ، فلما جاء سعد قالت له امرأته كيف كان قتالكم ؟ فجعـــل يخـــبرها ويقول: لقينا ولقينا حتى بعث الله رجلا على فرس أبلق ولولا أني تركت أبا محجـــن في القـــيد لقلت أنه هو وأنها بعض شمائل أبي محجن ، فقالت: والله إنه لأبو محجن كان أمـــره كـــذا وكذا وقصت عليه القصة ، فدعا به فحل قيوده وقال: والله لا نجلدك على الخمر أبـــدا ، فقال أبو محجن: وأنا والله لا أشربها أبدا لقد كنت آنف أن أدعها من أجل جلدكم وأنا الآن أتركها خشية لله ، و لم يشربها بعد ذلك أبدا.

التضحية في سبيل الله:

أرســـل النبي ﷺ حبيب بن زيد إلى مسيلمة الكذاب يتحدث معه ويستطلع خبره ويحاول رده إلى صـــوابه ، وكـــان حبيب شابا مؤمنا جريئا لما رآه مسيلمة قرر قتله فسأله أولا: أتشهد أن محمـــدا رســـول الله ؟ قال: نعم ، قال: أتشهد أني رسول الله ، فغير وجهه وكأنه يقول: لا أسمـــع ، وكـــرر مســـيلمة كلامـــه وكرر حبيب رفضه الصامت المستهزئ المتكبر ، وهنا بدأ مســـيلمة يقطع الشاب المؤمن عضوا عضوا ، كلما طلب منه أن يؤمن به فيرفض فيقطع أجزاء مـــن جسمه ، فلما استمر مسيلمة في تقطيع الأشلاء ونزفت الدماء فاضت روح الشاب الجلد

وهـــو يحتقر الباطل ويقر بالحق ، وعلمت أمه نسيبة بنت كعب الأنصاري بمصرع ولدها على هذا النحو ، فنذرت ألا تغتسل حتى تثأر لولدها وحتى يقتل مسيلمة ، وخرجت المرأة مع ابنها عـــبد الله واشـــتركت في معركة اليمامة وقاتلت جيش مسيلمة مع جيش المسلمين أشد قتال وأصـــابها اثنا عشر جرحا وهي تُقاتل بشجاعة وقطعت يدها خلال المعركة الشرسة ولكن خيل الله قتلـــت مسيلمة ومحت أكذوبته بالدم الغزير وانتصر الحق وزهق الباطل ، وعادت نسيبة بعد مـــا وفـــت بنذرها ، وقد شاركت قبل ذلك في غزوة أحد ، وشهدت بيعة الرضوان في عمرة الحديبية ، وشهدت فتح مكة ويوم حنين ، وقبل ذلك شاركت في بيعة العقبة.

الجنة تحت ظلال السيوف:

عـــن أبي بكـــر عن أبي موسى الأشعري قال: (سمعت أبي وههو بحضرة العدو يقول: قال رســـول الله ﷺ : « الجـــنة تحت ظلال السيوف » ، فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى أنـــت سمعت رسول الله يقول هذا ؟ قال: نعم ، فرجع إلى أصحابه وقال: أقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفنة سيفه ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب حتى قتل) رواه مسلم.

الأمانـــة:

يـــروي الـــتاريخ أن عبد الله القس أحب سلامة المغنية حبا ملك عليه فؤاده ، ولكنه كان ملـــتزما بالأمانـــة فلم يسلك معها سلوكا غير طبيعي ، إلى أن قالت له مرة: إني أحبك، فقال: وأنـــا والله الذي لا إله إلا هو ، قالت: وأشتهي أن أضع فمي على فمك ، قال: وأنا والله الذي لا إلـــه إلا هـــو ، قالـــت: فمـــا يمنعك فوالله إن المكان لخال ، قال: يمنعني قول الله تعالى: ﴿ **الْأَخِـــلَّاءُ يَوْمَـــئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾ (الزخرف:٦٧) ، وأخشى أن تتحول مـــودتي لك إلى عداوة يوم القيامة ثم انصرف و لم يلتق بها بعد ذلك أبدا ، وفي ذلك يقول معن بن أوس المزني واصفا الأمانة التي يتحلى بها:

لعمرك ما أهويت كفي لريبـــة	ولا حملتني نحـــو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري بها	ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي

ولست بماش مـــا حييت لمنكر — من الأمر لا يمشي إلى مثله مثلي
ولا مؤثر نفسي على ذي قرابة — وأوثر ضيفي ما أقام على أهلي

اختيار الزوج المناسب:

كـــان ســـعيد بن المسيب من العلماء الممتازين ، الذين لا يخافون في الله لومة لائم ، ولا يهمهم إلا إرضاء الخالق سبحانه وتعالى ، وكان يبعد عن زخارف الحياة الدنيا.

لقـــد أراد الخلـــيفة عبد الملك بن مروان أن يخطب ابنة سعيد لابنه ، وحين جاءه رسول الخلـــيفة ليخطب ابنته إلى ابنه ، قال لرسول الخليفة: إن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة ولا حاجـــة لي في الدنـــيا ولا في بني مروان إني مسؤول عن ابنتي أمام الله ولذلك فأنا أحافظ علـــيها وأزوجها لمن يسير معها على الحق ، وبعد أيام التقى بتلميذه عبد الله بن أبي وداعة الذي تأخـــر عـــن دروسه عدة أيام لأن أهله قد توفيت فاشتغل بها ، قال هلا أخبرتنا فشهدناها ، ثم قـــال : هل استحدثت غيرها ؟ قال له : يرحمك الله أين نحن من الدنيا اليوم ومن يزوجني وما معـــي إلا درهمـــين ، قال سعيد : أنا ، قال لـــه: وتفعل ؟ قال : نعم ، وزوجه على درهمين ، فطار من الفرح وذهب إلى منزله بعد إجراء العقد ، وبعد هنيهة سمع طرقا على الباب وتعجب مـــن يطرق بابه الآن ؟ وحين فتح الباب فوجئ بأستاذه سعيد ، فقال أستاذه: إنك كنت رجلا عـــزبا فتزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك ، وهذه امرأتك وخرج ، وأعلم عبد الله الخبر إلى الجـــيران فجـــاءت النساء متعجبات من هذا الخبر وزينوها لـــه ، ثم دخل بها فإذا هي من أجمـــل النســـاء وأحفظهـــم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله وأعرفهم بحق الزوج ، وعـــاش سعيدا مع زوجه التي فضله أبوها على ولي العهد ، وانتهز الخليفة عبد الملك فرصة محنة خلـــق القرآن ليجعل عامله على المدنية يضرب سعيدا خمسين سوطا في يوم بارد ، وصب عليه جـــرة مـــاء وعرضه على السيف وطاف به في الأسواق عاريا إلا من لباس يستر عورته ، ومنع الناس أن يجالسوه أو يخاطبوه ، ولكن سعيدا لم يعبأ بشيء من ذلك إلى أن لقي ربه.

نلاحـــظ أن الإسلام أباح للنساء المسلمات أن يقمن بواجبات الرجال في أوقات الشدة ، وكـــأنهن رجـــال في الشـــجاعة ، وعزة النفس ، ونصرة المسلمين ، والصبر على البلاء ، ومن ذلك :

شجاعة أم عمارة :

ففـــي غـــزوة أحد اعترضت أم عمارة ابن قمئة فضربها على عاتقها ضربة تركت جرحا أجوف ، فضربته هي عدة ضربات بسيفها ، وبقيت تقاتل حتى أصابها اثنا عشر جرحا.

صفية بنت عبد المطلب :

كانـــت صفية بنت عبد المطلب في حصن بني حارثة ، فقد وضع الرسول النساء والصبيان في هـــذا الحصـــن وكان معهن حسان بن ثابت ، قالت صفية: فمر بنا رجل من يهود وجعل يطـــوف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وانتهى ما بينها وبين رسول الله ، وليس بيننا وبينهم أحـــد يدفع عنا ورسول الله والمسلمين في غدر عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم أن أتانا آت ، قالـــت: فقلت يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يـــدل على عوراتنا من ورائنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله وأصحابه فانزل إليه فاقتله ، قـــال: والله لقـــد عرفت ما أنا بصاحب هذا ، قالت: فاحتجزت (شدت وسطها) ثم أخذت عمـــودا ثم نزلت من الحصن إليه ، فضربته بالعمود حتى قتلته ثم رجعت إلى الحصن وقالت: يا حســـان انـــزل إليه فاسلبه فوالله لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل ، فقال حسان مالي بسلبه من حاجة.

صبر الخنساء :

الخنســـاء : اسمهـــا تماضـــر بنت عمرو بن شديد الشاعرة المشهورة بالخنساء ، كانت في

الجاهلية مشهورة بالحزن الدائم على أخويها اللذين ماتا في ظروف طبيعية ، وكانت دائمة الرثاء لهما ، ومما قالته :

وإن صخرا لَتَأْتَمّ الهداة به كأنه علم في رأسه نار
وإن صخرا لهادينا وسيدنا وإن صخرا إذا نشكو لنحار

وتقول :

ولولا كثر الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

فلما دخلت في الإسلام أصبحت صورة جديدة مختلفة اختلافا تاما عن الصورة القديمة ، حتى أنه عندما دخلت وأبناؤها في الإسلام قالت لأبنائها تحثهم على القتال في سبيل الله: (يا بني إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم أبناء امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم ، وأنتم تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية) ، وحين استشهد أبناؤها الأربعة في معركة القادسية وعلمت بذلك ، قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من الله تعالى أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

امرأة تعارض الخليفة :

خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مرة ، وطلب ألا يزيد مهر المرأة عن خمسمائة درهم اقتداء برسول الله فإنه لم يعط أحدا من زوجاته مهرا أكثر من هذا المقدار ، فقامت امرأة في المسجد وقالت: ما ذلك لك يا عمر ، وكيف تقول ذلك والله تعالى يقول: ﴿ **وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا** ﴾ (النساء:٢٠) ، فنزل عمر عند رأيها وقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر .

وقد مدح "ادوارد جيبون" في كتابه (سقوط الدولة الرومانية) شجاعة النساء المسلمات في حصار دمشق وقال: (إن هؤلاء النساء اللاتي تعودن الضرب بالسيف والطعن بالرمح

والـــرمي بالنـــبل هن اللاتي إذا وقعت إحداهن في الأسر تكون قادرة على حفظ عفتها وصون دينها من أي إنسان تحدثه نفسه بأي شيء) .

أطفـــال ولكنهم رجـــال

يلاحظ أن الإسلام لـــه تأثير عميق على جميع من دخلوا فيه حتى الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم أصبحوا يحسون بأنهم أصحاب رسالة حتى لو كان ذلك على حساب حياتهم.

روى الـــبخاري ومســـلم عن عبد الرحمن بن عوف قال : إني لواقف يوم بدر في الصف نظـــرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما فغمزني أحدهما وقال: يـــا عماه أتعرف أبا جهل ؟ قلت: نعم وما حاجتك إليه ، فقال: أخبرت أنه يسب رسول الله والـــذي نفســـي بـــيده لئن رأيته لا يفارق سواده سوادي حتى يموت الأعجل منا ، فتعجبت لذلـــك ، فغمزني الآخر فقال لي أيضا مثل هذا الكلام ، فلم ألبث أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجـــول في الـــناس فقلت : ألا تريان هذا صاحبكم الذي تسألون عنه فابتدراه بسيفهما فضرباه حـــتى قـــتلاه ثم انصرفا إلى النبي فأخبراه ، فقال: أيكما قتله ؟ قال كل منهما: أنا قتلته ، قال هـــل مســـحتما ســـيفيكما ، قالا : لا ، فنظر النبي إلى السيفين فقال : كلاكما قتله ، ومضى بسلبه لمعاذ بن عمر بن الجموح ومعاذ بن عفراء رضي الله عنهما.

عمير بن أبي وقاص :

قـــال ســـعد بـــن أبي وقاص رأيت أخي عمير قبل أن يعرض رسول الله يوم بدر يتوارى فقلـــت: مـــا لك يا أخي ؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله فيستصغرني فيردني وأنا أحب الخـــروج لعل الله أن يرزقني الشهادة ، قال: فعرض على رسول الله فرده فبكى فأجازه ، فكان سعد يقول :كنت أعقل حمائل سيفه منذ صغره فقتل وهو ابن ستة عشرة سنة.

دور الفتيات في الهجرة النبوية :

قامـــت أسمـــاء بنـــت أبي بكر الصديق وأختها عائشة ، وكانتا فتاتين صغيرتين ، بتجهيز الطعـــام والشـــراب للـــنبي وصاحبه عند الهجرة ، وحدث أن أسماء لم تجد شيئا تعلق به الطعام فـــأخذت نطاقهـــا فشقته إلى نصفين فعلقت الطعام بنصفه وانتطقت بالنصف الآخر ، فسماها رســـول الله ﷺ بذات النطاقين ، وكان هذا أحب الأسماء إليها وقال لها أنت ونطاقاك في الجنة فكان هذا وساما نبويا لها.

وخـــرج النبي ﷺ وصاحبه إلى جنوب مكة في طريق وعرة موحشة محاذية لساحل البحر ، ولم يســـلك بهمـــا الدلـــيل الطريق المألوف ، بل تعمد أن يسير في غيره تضليلا للقرشيين حتى وصـــلا إلى غـــار ثـــور ، وهناك اختبأ ثلاثة أيام حتى يعرفا خبر قريش وسكونها عن طلبهما ليأسهم من العثور عليهما فيستأنفا سيرهما إلى المدينة .

وبحثـــت قـــريش عن محمد وصاحبه فلم تجدهما ، فقامت بحملة تفتيشية واسعة النطاق ، ورصـــدت مكافأة ضخمة لمن يدلهم على محمد ، ووصلت الحملة إلى الغار ولكنها لم تقتحمه لأنهـــا لم تجـــد مـــا يدل على وجودهما بالغار ، وتحولت هذه الحملة إلى بيت أبي بكر تسأل وتســـتجوب لتصل إلى خبرهما ووجدت أمامها أسماء فاستجوبتها استجوابا دقيقا عن أبيها وأين هـــو ؟ومع من خرج ؟ وإلى أين ذهب ؟ ونفت أنها تعرف شيئا ، وهددوها ولكنهم لم يجدوا عـــندها خـــبرا ، فثار قائد الحملة أبو جهل ولطمها على وجهها لطمة قوية أقلعت قرطها من أذنهـــا ، ووقفت موقفا آخر مع جدها وإن كان يخالف الموقف الأول إلا أنه يدل على رجاحة عقـــلها وحســـن تصرفها ، فقد جاءها جدها أبو قحافة - وكان قد عمي - يسألها عن أبيها وعـــن ماله ويقول لها في غضب وحزن لقد فجعكم في نفسه وفي ماله ، فقالت أسماء : كلا يا أبـــت إنـــه قد ترك لنا خيرا كثيرا ، وصارت تحرك يدها في جرة ملأتها حجارة وغطتها فتوهم أنها أموال وما زالت به حتى اقتنع وهدأت ثائرته .

عن الرجولة في العصر الحديث

الغــرب - بكــل دوله وشعوبه — لا يعرفون شيئا إلا المادة والوصول إليها بأية أسلوب، وهـــم يغـــزون الشـــعوب غزوا عسكريا أو غزوا فكريا أو غير ذلك من أجل المادة والسيطرة وإذلال الشـــعوب ، ولا يهـــتمون بأي لون من ألوان الرجولة التي عرفها العرب أو التي نشرها الإسلام.

وقـــد غزانا الغرب بجيوشه ثم غزانا بأفكاره عن طريق أجهزة الإعلام وعن طريق مجموعة مـــن الـــناس الذيـــن ربـــاهم على مفاهيمه وقيمه ثم مكّن لهم في الحكم وفي أجهزة الإعلام ، فـــأخذوا ينشـــرون هـــذه المفاهيم على أنها من مفاهيم الحضارة والتقدم ، وأصبح الحكام بما يملكون من أسباب القهر عن طريق الجيوش والشرطة ومن وسائل الضغط العسكري والفكري والنفســـي أخـــذوا ينشـــرون هـــذه المفاهيم حتى يحققوا آمالهم وأصبحوا لا يهتمون بالمفاهيم الإســـلامية للـــرجولة ولا المفاهيم العربية للرجولة ، وبذلك تخلى العرب عن الشجاعة ، وعن نصـــرة المظلوم ، وعن الوفاء بالوعد ، وعن الأمانة وعن الاعتراف بالحق ، وعن مثالية القيادة ، وعن عزة النفس ، وعن الغيرة عن العرض ، وما إلى ذلك ن صفات الرجولة.

ومـــن هنا فإننا قد أصبحنا لا نجد العربي الذي يسارع إلى نجدة العربي كما يحدث الآن في فلســـطين ، ولا نـــرى المسلم الذي يسارع إلى نجدة المسلم كما شاهدنا في البوسنة والهرسك وفي كوســـوفا وفي الشيشان وفي غيرها ، وأصبح الاهتمام المركز في أجهزة الإعلام المختلفة عن الرياضـــة /وبخاصـــة الكرة/ وعلى الأغاني والرقص والتمثيليات حتى يشغلوا الناس عن مفاهيم الرجولة فلا يتحركون أي حركة إلا لإرضاء الحاكم.

ولهـــذا لا نجـــد الغـــيرة على العرض التي كانت موجودة قبل ذلك ، وخرجت المرأة من حجابهـــا الجسمي والعقلي والنفسي بل وأصبحت تغازل الرجل علانية وتطلبه وتجري وراءه ، مع أن الحياء في الماضي كا يمنعها عن كل ذلك ، ويتمثل ذلك في قول امرأة لحبيبها:

إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا   لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

وحـــين كنت مدرسا بجامعة قطر وكنت جالسا مع بعض طالباتي ، سألتني طالبة عن أغنية تذاع كثيرا وهي:

بتروح لك مشوار   قلت لها يا ليت

قالت لكن اوعى تغار   حوليه عشاق كتار

قلت لها بطلت   خليني في البيت

قلـــت: ومـــا رأيكن في ذلك ؟ واختلفت الآراء ، قلت: فلنفترض أن صاحبة هذا السؤال زوجة وقالت له هذا الكلام ، هل يردّ هذا الردّ ، فأين الغيرة على العرض ؟

وهنا تنبهت الطالبات فقالت واحدة منهن: هذه ليست زوجة التي تقول هذا الكلام.

قلت: فلنفترض أنها صاحبة أو عشيقة فهل يرد هذا الرد ؟

قالت واحدة: هذه ليست أغنية قطرية ولكنها أغنية لبنانية.

قلـــت: ولبـــنان بلد عربي فهل هذه الأغنية تمثل قيمه وسلوكه ؟ ومع ذلك فهذه الأغنية تـــذاع في جميع الإذاعات العربية ، وقد أذيعت في الكويت كما أذيعت في قطر ، بل وفي رحلة جامعية إلى الهند غناها الطلبة على أنها أغنية شعبية قطرية.

وهـــذا يعـــني أن المفاهـــيم الغربـــية قد غزت جميع البلاد العربية فغيرت الأفكار وغيرت السـلوك ، وهـــذه كارثة من كوارث الحضارة الغربية التي أصابت الدول العربية والإسلامية، وإن كـــان هـــذا كلـــه لم يمنع وجود الرجولة عند الكثير من المجاهدين الذين ضحوا بأموالهم وأنفســـهم وأهلـــيهم في أفغانستان ، حتى استطاعوا أن يقضوا على روسيا وهي دولة من أكبر الـــدول في العـــالم ، وكذلك شجاعة المجاهدين من الرجال والنساء والأطفال في البوسنة وفي الهرســـك وفي كوســـوفا وفي الشيشان وفي كشمير وفي الفلبين وفي فلسطين وفي لبنان ، ذلك لأنهـــم جعلـــوا هدفهـــم إرضاء الله تعالى بالجهاد في سبيله ونشر الدعوة الإسلامية بين ربوع العالم ، وبذلك يكونون قد أدوا واجبهم على أكمل الوجوه وأفضلها.

وإلى جانب ذلك فإن رجولة المسلمين في الاتحاد السوفيتي قد أبقت على الإسلام أكثر من سبعين سنة مع شدة الضغط والإرهاب ، بل والإبادة الكاملة ، وكانوا يعملون في الخفاء ، فلما انتهى الاتحاد السوفيتي ظهرت آثار الرجولة في بقاء الإسلام واللغة العربية والثقافة الإسلامية.

وهكذا نجد أننا في حاجة إلى إعادة صياغة أنفسنا صياغة إسلامية كاملة حين نعيد لمجتمعاتنا الإسلامية الرجولة الكاملة بمفاهيمها الإسلامية فنعيد لمجتمعاتنا قوتها ونبدأ صفحة جديدة في الدعوة إلى الله تعالى وفي الجهاد في سبيله حتى نحقق وظيفتنا التي اختارنا الله لها وهو يقول في ذلك: ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ** ﴾ آخر سورة الحج ، ويقول تعالى: ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ (آل عمران: ١١٠)

وبذلك يرضى الله عنا في الدنيا وفي الآخرة...

ولمثل هذا فليعمل العاملون

فهرس

كتب صدرت للمؤلف:

١- أضواء على التربية الإسلامية .

٢- وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني .

٣- جامعات يوسف .

٤- الحدود في الإسلام .

٥- دور المرأة ومكانتها في الحضارات المختلفة عبر التاريخ .

٦- ماذا تعرف عن بديع الزمان النورسي .

٧- علم الإنسان في القرآن الكريم .

كتب تحت الطبع:

١- الحضارة الغربية إلى الهاوية .

٢- مفاهيم إسلامية .

٣- الفن بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى .

٤- الترف ودوره في انهيار الأمم .

٥- معارك رمضانية فاصلة في تاريخ الإسلام .

٦- الإسلام يدلل المرأة .

٧- الحكمة في التشريعات الإسلامية .

٨- لماذا أسلمنا ؟ .

٩- المدينة المنورة عند الهجرة .

١٠- أوسمة إلهية .

١١- مكة المكرمة عند الهجرة .

١٢- أوسمة نبوية .

١٣- الإتكيت (فن الذوق) .